المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٨ محرم سنة ١٣٢٧

زلزلة مسينا

يستدل علماء طبقات الارض على ان اوربا كانت متصلة بافريقية وعلى الاتصال ايطاليا فصقلية فتونس . ثم تمزقت هذه الصلة بفعل بركاني وبقي منها طرف ايطاليا الجنوبي وجزيرة صقلية ورأس بونة في افريقية في الشمال الشرقي من تونس كما ترى في الرسم المقابل . وقد حدث هذا التمزق بانخساف الارض فان حرارة جوفها هناك دفعت بعض ما فيها من المواد فتكوّن مكانها تجاويف كبيرة تقوّضت سقوفها لشدة الضغط عليها فهبطت وعلاها الماء . وهذا الفعل البركاني لا يزال جارياً حتى الآن وهو سبب البراكين التي في ايطاليا وصقلية وسبب انتياب الزلازل لها

ومن اشهر زلازلها القديمة التي وصل الينا وصفها الزلزلة التي حدثت سنة ١٦٣٨ ووصفها الاب كرخر اليسوعي ونشرنا خلاصة وصفه لها منذ احدى وثلاثين سنة في المجلد الثالث من المقتطف قال :— "وفي الرابع والعشرين من اذار (مارس) نزلتُ من مرفإ مسينا في سفينة صغيرة قاصداً مدينة اوفاميا فوصلنا في ذلك اليوم الى راس بلورس حيث بقينا ثلاثة ايام لمضادة الريح لنا ولما سلمنا الاقامة اخذنا نحاول السير وكان البحر هائجاً هيجاناً فوق المعتاد حتى وصلنا الى خليج خاريبوس فرأيناه يدور دوراناً عنيفاً . ثم حانت مني التفاتة الى جبل اتنا فرأيته يقذف دخاناً كثيفاً حجب الجزيرة عن عيوننا وسمعت له دمدمة مهولة وشممت منه الروائح الكبريتية وكان الهواء ساكناً والجو نقياً فانذرتُ رفاقي بقدوم زلزلة شديدة فاسرعنا الى البر ونزلنا عند قريبا ولم نبلغ مدرسة اليسوعيين حتى صمّت آذاننا بصوت كصوت مركبات كثيرة تزدحم بعنف شديد على ارض مفجرة ثم تلاه زلزال شديد جداً فمادت

بنا الارض حتى لم نقدر ان نقف الوقوف فسقطت غالباً عن الصواب ولما عدت الى نفسي كانت الارض لم تزل تهتز فهرولت طالباً القرار حتى اتيت الشاطئ فوجدت السفينة التي كنت فيها فركبتها وسرنا الى روشنا حيث قصدت منزل المسافرين الا اني رأيته قد اوشك على السقوط فانقلبت الى السفينة وبعد نصف ساعة التفت اليه فاذا به قد دكّ الى اسسه هو واكثر ابنية المدينة معه فاقلعنا من هناك واتينا الى لوبزيوم على منتصف الطريق بين تريا واوفاميا وكنت كيفما وجهت نظري ارى خراباً تقشعرّ منه الابدان وبينما انا اعتبر تلك العبر اذا بزلزلة البلت علينا وتعاظمت حتى صار البر يضطرب كاضطراب البحر فلبثنا ربثما هدأ قليلاً ثم هرعنا الى السفينة طالبين الغرب والتفتنا الى المدينة فاذا بسحابة مدلهمة قد اكتنفتها ولما انقشعت لم نرَ لها عيناً ولا اثراً فابتلعتها الارض بين ليلها وغادرت مكانها بحيرة كدرة» انتهى

واصابت صقلية زلزلة اخرى عنيفة سنة ١٦٩٣ فخربت اربعاً وخمسين مدينة منها عدا القرى والضياع وفي جملتها مدينة قطانيا قصبة ملوك الجزيرة . قال الاب سروتيتا انهُ رأى سحابة كبيرة اكتنفت المدينة وجبل اتنا يقذف النيران بغزارة والبحر هائجاً هياجاً شديداً والطيور والحيوانات مذعورة والارض تهتز بعنف شديد وبينما هو ينظر الى ذلك مدهوشاً اذا بصوت كالرعد القاصف فانقضّت مدينة قطانيا الى الارض وكان فيها ١٨٩٠٠ نفس فلم ينجُ منهم سوى ٩٠٠ . وقتل في صقلية كلها بهذه الزلزلة ٩٣٠٠٠ نفس . ولكن لم يذكر المؤرخون ان تلك البلاد اصيبت بزلزلة قتلت من اهلها قدر ما قتلت الزلزلة التي حدثت في اواخر دسمبر الماضي نعم انهُ حدثت زلازل في بلدان أخرى قتلت نحو ذلك من السكان كزلزلة انطاكية التي حدثت سنة ٥٢٦ م وقتلت نحو مئتين وخمسين الفاً من اهلها وزلزلة سنة ٨٩٣ التي قتلت نحو ٨٠٠٠٠ من اهالي الهند وزلزلة سنة ١١٣٨ التي قتلت نحو مئة الف نفس من اهالي ايران وزلزلة سنة ١٧٠٣ التي قتلت نحو ٢٠٠٠٠٠ من اهالي يدو عاصمة اليابان ولكن كلابريا وصقلية لم تصابا بزلزلة فتّاكة مثل هذه على كثرة انتياب الزلازل لهما

وقد شملت هذه الزلزلة كل البلاد بين مدينة بزّو غربي الجانب الضيق من كلابريا الى مدينة رجيو في جنوبيها مسافة خمسين ميلاً واصابت في طريقها من المدن منتليوني وبالي وبغنارا وخربت من مدن صقلية مدينة مسينا وغزي واصابت مدناً اخرى باضرار جسيمة مما يدل على انهُ لم يكن لها مركز واحد بل مراكز متعددة كأنّ الانخساف الذي حدث قرب مسينا اثّر في كل الاماكن الضعيفة من قشرة الارض المجاورة فانخسفت معهُ . وقد كان الانخساف كبيراً جداً فاهتزت له قشرة الارض كلها وماج به البحر موجة هائلة بلغ ارتفاعها

ثلاثين قدماً طفت على ساحلي مضيق مسينا وجرفت ما عليهما ووصل فعلها الى جزيرة مالطة. قال قبطان السفينة هوبول وكانت مارَّة في ذلك المضيق ان سفينته عاقت سيف الجو كأنَّ لغماً أُلقي تحتها ثم مرَّت موجة كبيرة بلغت سطح السفينة

وقال ضابط من ضباط سفينة الطريد سانو وكانت آتية مسينا بالخبز للجنود انهُ رأى ماء البحر يرتفع بغتة الساعة الخامسة والدقيقة ٢٠ صباحاً فاهتزَّت يد السفينة وكل السفن التي في المرفإ واندفع الماء في موجة كبيرة الى رصيف المرفا وكسَّر اكثر السفن التي فيهِ ولم يكن الاَّ دقيقة حتى انتشرت الكسر على وجه الماء وانتشر معها شحن السفن وصناديق زيت البترول والاثمار وغطَّت مدينة مسينا سحابة كثيفة من الغبار. ثم اتضح بعد ذلك ان اكثر المدينة صار كوماً من الانقاض وارتفت منها السنة النيران وركام الدخان

وقال قبطان جوَّالة روسية كانت هناك ان الهزَّة الكبرى دامت ٣٧ ثانية وتبعتها اربع موجات واستمرَّت الهزَّات الصغيرة بعد ذلك. ووصلت الموجة الكبرى الى مدينة رجيو وعلت فيها عشرة امتار فوق سطح البحر فامتلأت بها الطبقة السفلى من البيوت التي قرب البحر وتخربت كل محطات سكة الحديد وكان رجل في قارب ذاهباً من مسينا الى رجيو فرأى القارب قد غاص بهِ الى قاع البحر ثم ارتفع اثنتين وثلاثين قدماً وقذفتهُ الموجة الى البر وكسَّرتهُ تكسيرًا

وقال واحد من الذين كانوا في مسينا انهُ رأى الارض تقذف بالحجارة الى ابعاد شاسعة وقال كل الذين نجوا من الموت انهم سمعوا اصواتاً كالزبر من جوف الارض حال حدوث الهزَّة الاولى ودامت هذه الاصوات مدة الهزات التالية

ونبَّا الاستاذ رزو مدير مرصد مسينا وقال انهُ لم يكن فعل موجة البحر شديداً في مسينا كما كان في رجيو لان البحر ماج من جهة صقلية الى جهة كلبريا وان الارض خسفت قرب المجلس البلدي نحو عشرة امتار

وتقدَّم هذه الزلزلة مطر غزير وقع في السابع والعشرين من دسمبر واشتدَّ وقوعهُ في الليل وفي الساعة الخامسة والدقيقة ١٥ من صباح الثامن والعشرين شعر اهالي مسينا بثلاث هزات ووقع مطر قليل في النهار ولكن كثر وقوعهُ في الليل التالي واشتد عصف الريح. وكان البرد شديداً في شمالي روسيا فزال حالاً بعد الزلزلة

والظاهر ان فعل الزلزلة كان في رجيو اشد منهُ في مسينا فخربت بها المدينة وتشققت ارضها ولم تبقَ قرية قائمة من القرى المجاورة لها على شاطىء البحر. وكان اكثر فعل الزلزلة في الاماكن المنخفضة في رجيو ومسينا اما الاماكن المرتفعة فبقي بعض مبانيها قائماً وكذلك

البيوت القليلة الارتفاع قاومت فعل الزلزلة اكثر من غيرها ويستحسن ان يعتمد على مثلها اذا اعيد بناء المدينة

وهذه الزلزلة ليست من اقوى الزلازل وان كانت من اشدها فتكاً بالنفوس فاذا حدثت زلزلة اقوى منها في صحراء افريقية او سهول سيبيريا او في عرض البحر الواسع فقد لا يُقتل بها احد ولا يشعر بها الاَّ آلات رصد الزلازل واذا حدثت زلزلة اضعف منها في مدينة مزدحمة بالسكان كلندن او باريس او نيويورك فقد يقتل بها اكثر مما قتل في مسيناورجيو وما جاورها من المدن والقرى

وقد ظهر بالمراقبة منذ عشر سنوات الى الآن ان الزلازل تكثر في عشر بقاع من بقاع الارض البقعة الاولى تشمل بلاد يابان وما جاورها شرقاً والثانية جزائر الهند الشرقية وما يجاورها من استراليا وملقا والثالثة الجهات الجنوبية من زيلندا الجديدة والرابعة الطرف الجنوبي من الهند الى شرقي جزيرة مدغسكر والخامسة تمتد من غربي الصين شرقاً الى سيبيريا غرباً ومن اواسط روسيا شمالاً الى خليج العجم جنوباً فتشمل بلاد ايران وبلاد الدولة العلية الى حد مصر وما حول البحر الاسود وبحر قزوين وبلاد اليونان وايطاليا والنمسا . والسادسة تشمل جزائر ازورس وما حولها والسابعة بين زيلندا وتروج . والثامنة في الاوقيانوس الاتلنتيكي شرقي الولايات المتحدة والتاسعة بين اميركا الشمالية والجنوبية . والعاشرة في غربي اميركا الجنوبية والحادية عشرة في غربي بلاد المكسيك والولايات المتحدة . والثانية عشرة في غربي الاسكا من اميركا الشمالية . والظاهر ان افريقية خالية من الزلازل الآن

والناظر الى هذه البقاع كلها يرى انها في البحر او قريبة منه او من الجبال الشاهقة مما يدل على ان لعدم التوازن في الضغط ولماء البحر الذي يتخلل طبقات الارض شأناً في حدوث الزلازل

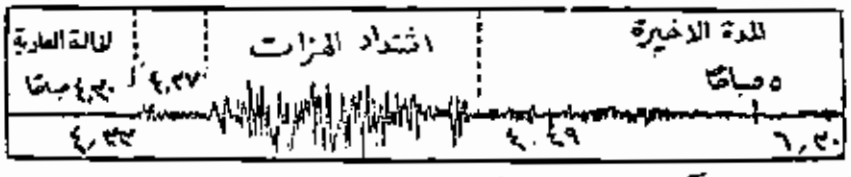

وقد سجلت آلة رصد الزلازل في مرصد منت مور بباريس زلزلة مسينا صباح الثامن والعشرين من دسمبر الماضي بين الساعة الرابعة ونصف والساعة السادسة ونصف فدام فعلها ساعتين وكان ابتداؤه في ١٦ دقيقة كما ترى في الرسم المتقدم

ويظهر من تقرير الاستاذ ركو ان تخريب الزلزلة للبياني انتشر اربعين ميلاً من كاسترو يل في صقلية الى بالي في كلبريا . وفعلها بالبياني امتد ٨٦ ميلاً من ريجو وبتي في صقلية الى بزو في كلبريا والشعور بها شديداً امتد ١٨٦ ميلاً من مسترتا ونوتو في صقلية

الى كوسنزا في كلبريا . وشعروا بها ايضاً في سرميليا وناپلي . وشعرت بها آلات الرصد في اماكن شتى حتى في غربي استراليا ودوّنت آلة الرصد في مرصد ميلتو بكلبريا ٢٨ هزّة قبلما تخرّبت . وتوالت الزلازل بعد ذلك في ايطاليا وغيرها ولا تزال تتوالى وثار بركان ستڑمبولي في الثالث من يناير

وكان عدد سكان مسينا قبل الزلزلة نحو ١٥٠ الفاً وعدد سكان رجيو ٤٤ الفاً والمظنون انهُ قُتل اكثر سكانهما وسكان القرى المجاورة لها . ولذلك قدّر المقدرون عدد القتلى باكثر من مئة الف نفس وزادهُ بعضهم حتى ابلغهُ مئتي الف ولا نعلم الحقيقة حتى الآن

ثمار الدستور

لقد كان من اول ثمار الدستور العثماني الجواب الذي ردّ بهِ مجلس المبعوثان على النطق السلطاني فأيّد بهِ حقوق الامّة العثمانية واستعدادها لتولي شؤونها مثل غيرها من الامم الدستوريّة . وها نحن موردون بعض ما جاء فيهِ نقلاً عن ترجمتهِ في المقطم

"ان والدكم وضع بفرمان الكلخانة السلطاني بعض اساسات شرعية مهمّة تأميناً للحقوق الشخصيّة وتأييداً للمساواة بين جميع المذاهب والعناصر المختلفة فنال بها الدولة العثمانية حياة جديدة مطابقة لما يقتضيهِ العصر

ولما كان من اللازم ضمان الحقوق الشخصيّة وتقويتها على وجه امتن واثبت واشمل وكان من الواجب لذلك ابدال شكل الحكومة السابق وقبول الاصول الدستورية المبنية على مبدإ كون الحكم للامّة اصدرتم حين جلوسكم امراً بوضع القانون الاساسي ونشره وفتح مجلس المبعوثان اتباعاً لذلك اللزوم والوجوب وتوفيقاً لرغائب اعيان الامّة الذين كانوا في ذلك الزمان خلاصة الرأي العام

ولا يخفى ان طريق المشاورة والدستور هو اصلٌ في الحكومة وان صور الحكومة المثانية لهذا الاصل الشرعي والمغايرة لشكل الدستور المعروف منكرة في كل زمان لانها عبارة عن تغلّب القوة على الحق والظلم على العدل . ولقد عرفتم جلالتكم وصرّحتم في امركم السلطاني بظهور كفاءة الامّة واستعدادها في ذلك الزمان وبأن القانون الاساسي قد وضع على وجه مطابق لتلك الكفاءة وذلك الاستعداد

غير ان ما احدثهُ بعض رجال الحكومة من المشاكل جعل مستقبل سعادة امة عظيمة

ينقلب من الشيء الى ضده فالمحل مجلس المبعوثان على صورة غير موافقة للقانون الاساسي بوجه من الوجوه

ثم ان الذين احدثوا تلك المشاكل الوهمية وخدعوا ذاتكم السلطانية لم يكتفوا بتجاوزهم احكام القانون الاساسي الذي هو قوام حرية الامة وسعادتها بل ادعوا ان الامة غير متحدة رأياً وطلبوا تأخير العمل بالقانون المذكور مستخفين بمدارك الامة

ونحمد الله على ان جلالتكم تحققتم في هذه النوبة الخطر الجسيم الذي لم يعد يخفى الا على عيون رؤساء الحكومة وفرائم السعادة العظمى التي ستنعم بها الدولة والمملكة في الحاضر والمستقبل من تحقيق الآمال العمومية فاصدرتم امركم السلطاني بتجديد انتخاب المبعوثان ودعوتهم للاجتماع توفيقاً لاحكام القانون الاساسي .... ولو ان جلالتكم على التداركم سعيتم في ماضي الزمن للتغلب على توجيهات اصحاب الاغراض لحل العمران في هذه الثلاثين سنة محل الخراب والتقدم محل التأخر في كل انطار المملكة ولما فتحت جروح كثيرة في قلوب الامة لمنفعة شرذمة قليلة استفادت وحدها من الاستبداد ولادرك الوطن رفاهيته وسعادته من كل وجه ولا حرزت الدولة العثمانية المنزلة التي تستحقها بين الدول "

ثم اشار المجلس الى اعلان امارة البلغار استقلالها واعلان دولة النمسا انها ضمت اليها البوسنه والهرسك وامل ان وكلاء الدولة (اي مجلس النظار) يحلون هاتين المشكلتين بالحكمة حلاً حسناً يصدق مساعدة الدول العظيمة الواثقة بحسن نيات المجلس واميالهِ السلمية واستطرد الى مالية الدولة فقال

"وسيجتهد مجلسنا في تنظيم مالية الدولة التي هي من اول الامور الداخلية المهمة ولا يسمح البتة بان تخرج بارة واحدة من جيب الامة ولا بأن يصرف درهم من خزينة الدولة على غير ما هو مقرَّر في الميزانية العثمانية وسيجعل للايرادات العمومية محافظاً صادقاً ولمصاريف الدولة مفتشاً غيوراً يقظان على انهُ وان كان الوصول الى توازن الايرادات والمصروفات عسراً جداً لما كان من الاسراف والتبذير الذين توالبا منذ اعوام طويلة تواليًا فلا سبق لهُ نظير في التاريخ المالي فنحن لا ندَّخر وسعاً في التمسك بكل التدابير اللازمة

وعلى كل حال فان حصر مصروفاتنا في الوجوه الشرعية فقط سيزيد اعتبارنا ويبرهن دولنا للملا على انها ليست دولة مسرفة بل دولة مقتصدة تدبر اموالها طبقاً للقواعد المالية

ثم اننا استكمالاً لرفاهية كل ابناء المملكة من كل المذاهب والعناصر المختلفة نوجه عنايتنا الى توطيد دعائم الامن والسلام . ونشر العدل . وصيانة حقوق الجميع . وتأمين اجراء

القضاء بكمال الاستقلال . وتربية اولاد الامة تربية سياسية حرة وطنية على وتيرة واحدة في المكاتب العمومية وتكثير واصلاح المكاتب والمدارس وكل نوع من المعاهد العلمية والفنية التي ستعم في انحاء المملكة . وزيادة الطرق والسكك ووسائط النقل لايجاد منافذ جديدة خارجية وداخلية لحاصيل المملكة . وانماء الحرف والصنائع وتوسيع نطاق التجارة . وسنعتني على الخصوص بترقية الزراعة

وبما ان الامة العثمانية المحبة للصلح والسلم مضطرة ان تكون دائمًا دولة قوية لا لتتعدى على حقوق غيرها بل لتحفظ مصالحها الوطنية الشرعية وتدافع عنها فيجب اذًا ان نجتهد في تنظيم قوانا البرية والبحرية واكمالها على ما يوافق موقعنا الجغرافي لانها هي الكافلة لصيانة وطننا وحكومتنا الدستورية

وعلى هذا فاننا سندقق النظر في اللوائح والقوانين التي ستضعها الحكومة او التي يرى المجلس لزومًا لها ونجتهد في سن قوانين موافقة لحاجات الوطن ولائقة باعتبار الامة العثمانية وحسن قبولها

وعلى كل حال انا نشكر جلالتكم على عزمكم الثابت الذي لا يتغير على ادارة مملكتنا حسب القانون الاساسي الضامن الحقيقي للتوفيق والنجاح في جميع آمالنا الجليلة

ونحن نحسب انفسنا سعداء ايضًا بان نعرض لجلالتكم ان عزم الامة العثمانية عمومًا في هذا الشأن وطيد ثابت على دعائم لا تزعزعها قوة مهما كانت عظيمة ونظهر لكم عظيم الافتخار والسرور الذي شعرنا به عند مشاهدتكم امامنا في يوم افتتاح مجلسنا الذي هو عنوان حكم الامة فدلت تلك المشاهدة دلالة صريحة على زوال الحوائل والموانع التي كانت بين الحاكم والامة

واخيرًا نقول ان قلوبنا لا تفيض الا بمحبة الامة والوطن . وان جميع ما نؤمله هو القيام باعمال خيرية للدولة وللامة ومرشدنا هو مصباح المساواة والاتحاد . وغايتنا الحق والعدل "

ولا نتذكر اننا قرأنا لمجلس من مجالس النواب كلامًا اصرح من هذا الكلام في تأييد حقوق الامة واستعدادها للاحتفاظ بها مهما تقلبت الاحوال

ومن ثمار الدستور ايضًا ان جلالة السلطان اولم وليمة فاخرة لنواب الامة في قصره حضرها اكثرهم وجلس هو في صدر المائدة والى يمينه كامل باشا الصدر الاعظم والى يساره احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان . ولما انتهوا الى تناول الحلوى وقف جواد بك باش كاتب المابين وقرأ النطق السلطاني التالي

" يا حضرات النواب

زادكم الله سيجانهُ غبطة وسعادة انني في الحقيقة عمتني جدًّا هذه الليلة اذ جمعت هذه المأدبة وكلاء امتي العثمانية وتبعتي الشاهانية واعني انها جمعت كل رعيتي في هذا المساء وهذه الحادثة الميمونة حدثت لاول مرة على ما اظن في تاريخ دولتي العلية . فابارك لكم واسأل الله ان يكرر امثالها عليكم . والفضل في هذا الاجتماع السعيد لقانون دولتنا الاساسي ادامهُ الله الى الابد فانهُ النور وادام مبدأهُ الجديد بالتبجيل

تعلمون حضراتكم ان اول حارس لحقوق السلطنة والمملكة والدولة الشوروية هو الله ثم الامة ثم مجلس المبعوثان وبناء على ذلك فان وظيفتكم مهمة ومقدسة ايضاً فسعيكم وغيرتكم وتصدكم وبيتكم التي لها هذه الاهمية وهذه المزية العظيمة هي مطلوبي قطعيًّا. فاحكام القانون الاساسي قائمة لهذه الحقوق المقدسة وكافلة لها بعناية الله تعالى . وكل رجل يخالف ذلك يكون اعدى عدوّ لي واشد خصم لخليفة فيكوني سلطانًا وخليفة اؤكد لكم واؤمنكم كل التأمين فليعنا الله تعالى في غيرتنا وسعينا الى سعادة وسلامة دولتنا وملتنا ووطننا المقدس " انتهى

وهذا النطق السلطاني من اصرح الاقوال الدالة على تأييد حقوق الامة وجري سلطانها على موجب دستورها

وقبلما انتهى الشهر عرضت دولة انكلترا على الدولة العلية مليونين ونصف مليون من الليرات العثمانية تعويضاً عمَّا لها في البوسنه والهرسك فقبلت الدولة العلية منها ذلك واتتدت بها امارة البلغار ولكنهم لم تعرض حتى الآن المبلغ الذي ترضى به الدولة العلية . وعرض كامل باشا على مجلس المبعوثان تصريحاً وافيًا بسياسة الوزارة الداخلية والخارجية فصادق المجلس عليهِ والفت لجنة لتنقيح القانون الاساسي حتى تصير السلطة كلها في يد مجلس المبعوثان

فاقترحت اللجنة تنقيح المادة السابعة حتى لا يصدر السلطان ارادة سنية الاَّ وتذكر فيها المادة التي بنيت عليها في القانون ويوقعها الناظر المختصة بنظارته . وتنقيح المادة السابعة والعشرين حتى يصير تعيين النظار منوطاً بالصدر الاعظم . وتنقيح المادة الثانية والاربعين حتى لا ينفض مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان الاَّ متى انتهت المدة المعينة لاجتماعهما او اذا قرَّ قرار مجلس الوكلاء على ذلك . وتعديل المادة ٧٢ حتى يحق للاهالي ان ينتخبوا ايًّا كان من اهالي الممالك العثمانية ولو لم يكن من دائرتهم . وتعديل المادة ١١٣ تعديلاً يبطل سلطة الحضرة السلطانية في نفي انسان من الممالك المحروسة . وفي كل ذلك ما يؤيد حقوق الامة وحريَّة نوابها وجعل السلطة في يدهم

مقدمة الطبعة الثانية

لشرح بخترعلى دارون

(تابع ما قبلهُ)

فالعلوم الطبيعيَّة هي المعوّل الوحيد الذي يزعزع اركان تلك العلوم ويهدم بنيانها بل هي المخل الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع الحائنة التي هي سبب كل ما نراهُ من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن فيهِ . فالشرائع التي تسوس الاجتماع حتى اليوم والمبنيَّة على تلك العلوم شرائع استبدادية لاتطبق على نواميس الاجتماع الطبيعي التي لا يصلح الاجتماع الاَّ بها . وسواء كانت الميَّة او بشرية فالفارق فيها بين اعضاء المجتمع البشري في حقوقهم وواجباتهم عظيمٌ جدًّا . ولا يغرَّنك ما فيها من الاصول المنطبقة في ظاهرها على العقل والعدل فالعبرة انما هي في تطبيقها على العمل والمسك بنير حبل أربانا لا بدَّ من ان يضل في تيه هذا انكون وهذا الحبل ليس الاَّ الطبيعة نفسها ونواميسها . فبالشرائع الثيوقراطية يترفع الرؤساء عامةً عن الشعب ويستأثرون بامتيازات يجعلون بها واجبات هذا الشعب كثيرة جدًّا الى حدّ الاستهانة بالتقشف وحقوقهُ معهم قليلة الى حدّ الاستهانة بنفسهِ . وبالسلطة الروحيَّة التي لهم عليهِ يسطون على عقلهِ وعواطفهِ فيجيون عليهِ من تخاوف اوهامهِ ضاغطًا يجعلهُ يقتنع بانهُ لا يجوز لهُ ان يكون في غير الحالة التي هو فيها . وبالشرائع الأوتوقراطيَّة الاستبداديَّة البشريَّة يرهب الملوك هذا الشعب حتى تموت نفسهُ ويخيم الجهل عليهِ فيسلبونهُ حقوقهُ . ولا فرق بين عالم وجاهل في هذا القتل وموت النفس فكلاهما شرعٌ في التذلُّل هذا يزحف ببطنهِ على الارض حتى يعفر جبينهُ بالتراب وذاك يتنزَّل بتريحهِ فيذلها الى مواطىء الاقدام تزلفًا الى ملك السيف وملوك المال ولو انك تأبى عليهم ان ترمقهم شزرًا لو جرَّدتهم من ذلك كلهِ . فتضحي المصلحة العامة على مذبح الافراد ويموت الفكر لدى مظاهر القوة الغاصبة والمجد الفارغ حتى يصير الملوك آلهةً جبابرة يسلبون ويفتكون ولا وازع لهم من شرائعهم والشعوب عبيدًا ارقاء لا يستهويهم الاَّ رضى ظالميهم وحتى يصير المجد كل المجد لدى اطفال الرجال الالتفاف حولهم لنيل رتبة يلبسون لها ثوبًا مزركشًا يبرزون بهِ في زيّ يضحك حتى ارباب المناصب او للحصول على وسام يعلقونهُ على صدورهم ويبتهجون بهِ كما يبتهج صغار الاطفال بلعبهم فيموت الفخر بالافكار النبيلة والاعمال الجليلة مجرَّدةً عن مضاف هذه الزخارف

ويلحق بهذا النظام عيب آخر يجعل الشرائع اشد ضرراً على المجتمع من ضرر الاستبداد نفسهِ وهو جمودها من طبيعتها تارةً ولاستمساك اصحاب السلطة بها اخرى . فلا يسهل تغييرها طبقاً لاحتياجات الاجتماع بحسب الزمان والمكان خلافاً لناموس الاجتماع الطبيعي الذي هو في طبيعتهِ خاضع لناموس التحوُّل العام . ولا لتتغير فيهِ الاَّ بشق الانفس لشدة بواعث الضغط المتجمعة فيهِ على مدى الزمان فتنفجر بهِ انفجاراً هائلاً تبعاً لناموس تجمع القوى الطبيعي الذي تحدث بهِ الكبات الطبيعيَّة في الارض كالزلازل ونحوها . ولذلك كان انتقال الانسان بشرائعهِ ونظاماتهِ في التاريخ مصحوباً دائماً بثورات تجري الدماء فيها انهاراً كثيراً ما ترجع بالاجتماع القهقرى او تقف بهِ عصوراً متطاولة

ولا ينكر ان في اصول هذه الشرائع ما تراعى فيهِ مصلحة الاجتماع بل مصلحة كل فردٍ فيهِ وانما صبغها احياناً كثيرة بما يلبسها حلة الجمود وعدم معرفة تطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي لجهل نواميسهِ بفقدانها مزاياها الحسنة وهذا هو سبب قيام المصلحين من وقت الى آخر على اختلاف نزعاتهم بغض النظر عن مطامعهم الخاصة لمقاومة هذه الشرائع تارةً بالعنف وتارةً باللين وكان السيف فيها دائماً اصدق انباء من سواهُ . ولهذا السبب عينهِ كان مصلح الامس يبدو رزءاً كبيراً على مصلح الغد . والاجتماع هو الذي يتحمل مغبَّة كل ذلك . ولما كان كل هذا الشر لو سير في نظامهِ على منهاج الاجتماع الطبيعي

ولا نريد بهذا القول ان الناس في طبائعهم يكونون بعيدين عن كل شر بل ان مجهولة انتقائهم في شرائعهم وتحوّلهم في نظاماتهم يلطّف من هذا الشر ويزيل كثيراً من اسبابهِ . بل بمعرفتهم نواميس نظام الاجتماع الطبيعيّ يحسنون تطبيق نظاماتهم عليهِ فيقدرون فيها ناموس التكافل القاضي بتقاسم المنفعة على قدر العمل حق قدرهِ ويجتنبون بذلك شر ناموس التكافؤ القاضي بشدَّة التنازع لشدَّة البائنة بين هذا التقاسم والعمل ويتَّقون بذلك شرَّ تبذير القوى في الاجتماع عملاً بناموس الاقتصاد الاجتماعي الطبيعيّ . فيعلّمون الانسان حقيقة واجباتهِ من نفس احترام حقوقهِ اذ لا شيء اقدر على تعريف الانسان واجباتهِ للقيام بها مثل معرفتهِ المنافع المترتبة لهُ عليها فباحترام الحقوق تعرف الواجبات فتقلّ الجنايات المترتبة على الجهل بها وبمراعاة كل افراد المجتمع في احوالهم المعاشية تحسن صحتهم فتقلّ امراضهم وتتّقى الاوبئة اذ تقلّ اسباب تولّدها وانتشارها . ولا يخفى ما يتبع ذلك من تحسُّن اخلاقهم واستقامة طبائعهم فلا يفشو الكذب بينهم هرباً من عقاب او مراعاةً لمصلحة وتقلّ السرقة المترتبة على الحاجة . وهل يصحّ ان يكون الامر على غير ذلك ؟ افلسنا نحن

الذين علّما الانسان ان يكذب لانّا عاقبناهُ على الصدق وان يسرق لانّا حجبنا عنهُ ما يحتاج اليهِ ؟ او ليس شرائعنا هي التي قنعتنا عن تلك الشجاعة الادبية التي تسموبها اخلاق الانسان وتحملنا كرهًا على احترام هذا الحجب المغتصب بالارهاب ؟ ولا فرق في ذلك بين شرائعنا الاوتوقراطيّة والثيوقراطيّة ففي كل فترة منها ما يرعد الفرائص بالتهديد والوعيد . ولماذا كل هذا الغضب على هذا الانسان الضعيف الذي اقل احتياج من احتياجاتهِ كافٍ لان يدفعهُ الى ارتكاب الجريمة لان الاحتياج مؤلم فالجوع نشّاح والحاجة قاتلة . فلماذا لا ننظر الى ذلك بالنظر الصائب ونكفي الانسان حاجتهُ ونكتفي شرّهُ بل ننتفع كل النفع بهِ ؟

ونحن اذا طلبنا ان يكفي الاجتماع حاجتهُ وتدرأ عنهُ علّتهُ وامراضهُ فلا نكون قد تمنّينا حسنًا او قصدنا وهمًا بل نكون قد تحدّينا نظام جسم الحيّ نفسهِ الذي كل عضو منهُ بل كل جزء معًا كان دقيقًا من اجزائهِ يعمل لنفسهِ وللكل معًا والكلّ نفسهُ يعمل لهُ وعلى صحّة هذا الجزء تتوقف صحة الكل والاّ انطرب جسم الحيّ كلهُ وساء مصيرهُ . فدرس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس نواميس الجسم الحيّ نفسهِ ووضع نظاماتهِ على قياس نظاماتهِ لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الاّ جسمًا حيًّا ايضًا ولكنهُ حيوان عاقل كما قال عنهُ المقتطف منذ سنين تعقيبًا على بحثٍ لي في تاريخ الاجتماع الطبيعي نشرتهُ في ذلك الحين

ولقائل ان الاجتماع على الصورة التي هو فيها سائرٌ على نظام الطبيعة نفسها وهو متحوّل شيئًا فشيئًا بالتدريج متذبذب مثلها وثوراتهُ مثل نكباتها فالاسراع في ارتقائهِ واجتناب تذبذبهِ وثوراتهِ تخالفٌ للنظام الطبيعي . وهذا القول حقٌّ لولا ان الاجتماع عاقل والطبيعة عمياء فهو قادرٌ ان يتصرف باسرارها ويسخرها الى مصلحتهِ حتى يصحّ القول ان الانسان من يوم اهتدى الى الكساء وشاد البناء لم يتغيّر بدنهُ كثيرًا ولكنهُ في شرائعهِ لم ينظر الى نواميس الطبيعة فتطبيقها عليها واختيار الانفع منها بل صبا عنها الى ما سواها وخالف بذلك نظامها فكأن عقلهُ هنا جنى عليهِ فسرفهُ عن تعرّف اقرب الاشياء اليهِ والصقها بهِ حتى اوغل في الضلال وصار ردّهُ الى الصواب صعبًا جدًّا . او ليس من العار ان ترى الانسان حتى الآن مشغولاً عن حاضرهِ بماضيهِ يبني عليهِ مستقبلهُ منصرفًا بالبحث في ما لا يجدي عن البحث في ما يجدي وما مثلهُ الاّ مثل من يمشي الى الامام وهو ملتفتٌ الى الوراء فلا غروَ اذا وقع في حفرة منجم الاسكندر وهو يمشي ويعدّ نجوم السماء حتى قيل فيهِ المثل " من اشتغل بعلم ما فوقهُ بلي بجهل ما تحتهُ " — فلم يكن بدٌّ لوضع الاجتماع في صراط يصون لهُ توازنهُ ويسرع ارتقاءهُ من صرف قوى الانسان فيهِ عن تلك المباحث الزائفة المضيّقة للعقل المضلّلة لهُ من

فلسفة نظريَّة وتواريخ كنسج العناكب وعلوم عالية ككفة الميزان الفارغة واقاصيص كمقامة عفاريت الف ليلة وليلة وتوجيهها الى البحث الجدّي الذي يضمن لهُ ذلك ألا وهو العلوم الطبيعيَّة بما فيها من فلسفة اختبارية متينة واسعة التي هي المأوَّل الوحيد كما تقدَّم لهدم تلك العلوم السخافية وما بُني عليها من النظامات الاجتماعيَّة الفاسدة والاساس المتين الذي يشاد عليهِ بنيان الاجتماع الباسق في المستقبل

واذا علمت ان شأن العلوم الطبيعية لم يأخذ بتعاظم الاَّ في القرن الماضي وان النواميس الكبرى التي تسوس الطبيعة لم تجلِ حقيقتها الاَّ في النصف الثاني منهُ ونظرت الى النتائج العظمى التي ترتبت على ذلك في هذا الزمن القصير من ارتفاع شأن المنافع العموميَّة وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة ولنشر التعليم ومعرفة حقوق الانسان ولتقرير سيادة الامم وخصوصاً اتجاه قوى العقل الى النظر في القريب الدناني وتولُّد حب البحث فيهِ عن الحقائق الملموسة لم يبدُ لك شيءٌ من الغلو في ما تقدم من القول . فان تحوُّل مجرى افكار الانسان في جميع مباحثهِ الى هذه الجهة سيكشف لهُ اسراراً كثيرة في الطبيعة ليس المعلوم منها لهُ اليوم الاَّ نزراً يسيراً بالنسبة اليها تزيدهُ علماً وقوةً وتضطرهُ بحكم الضرورة الى قلب سائر ما بناهُ على غير هذا الاساس بسرعة لا يعادلها الاَّ تباطؤهُ في ما مضى عن الاندفاع في هذا السبيل القويم . — واذا علمت ان مرقوتو ليس بتعرُّفهِ خصائص المادة وخواص القوى البادية فيها كالحرارة والكربائيَّة والنور والجاذبيَّة على اطلاقها والالفة الكيماويَّة حتى القوى الحيوية بل بمرقة تحوُّل هذه القوى بعضها الى بعض وربطها بناموس عام يشملها جميعها أعظمت شأن مذهب النشوء والتحوُّل الذي هو موضوع هذا الكتاب والذي هو من منتجات القرن الماضي وحدهُ بل نصفهِ الاخير . بل لو علمت كم كلَّف من العناء تقرير هذا المبدإ الذي يبدو اليوم للعلم بسيطاً وكم اثار من الحروب العقليَّة واللسانية بين علماء النظر والاختبار بل بين علماء الطبيعة انفسهم قبل ان يقرَّهُ العلم بما يزيدك دلالةً على ما للاعتقادات الموروثة من الشأن في الضغط على العقول حتى الراقية لاعظمت جدَّة الفكرة الاستنتاجيَّة التي حملت داروين على التصريح بهِ بل صبرهُ واجتهادهُ في جمع الادلة لتأييدهِ ولأعظمت جسارة اتباعهِ واطلاقهم اياهُ على العالم باسرهِ وتطبيق اعمال الفكر نفسهِ عليهِ

والحق ان فضل داروين العظيم ليس في فكرة وضع اساس هذا المذهب بل بتأييدهِ لهُ بالادلة العلمية الطبيعية . وجعلهِ صالحاً لا لان يطبق على الاحياء وحدها فقط بل لان يشمل الطبيعة كلها لا في الارض وحواليدها الجماد والنبات والحيوان فقط بل في السماء

واجرامها ايضاً . فقد سبق دارون فلاسفة وعلماء طبيعيون قالوا بهذا المذهب قبلهُ او بما يدل عليهِ واخصهم بالذكر عالمان طبيعيان كبيران وهما لامرك وجفروى سنتيليار في اوائل القرن الماضي ولكن ايجابهما ليهِ كانت قاصرة لقلة الادلة العلمية فلم تستطع ان ترجه الافكار اليها وان تحدث الثورة التي احدثتها ابحاث دارون فقامت العلماء واقعدتهم واثارت بينهم حرباً شعواء كانت هي السبب في جلاء هذا المذهب وانتصارهِ

والغريب ان دارون ايَّد مذهبهُ بشواهد وادلة اخذها من ابحاث علماء اعلام قبلهُ وبعضهم كان من معاصريهِ ومع ذلك فقد لاقى من هؤلاء المعاصرين انفسهم مقاومات عنيفة وما مثلهم كما قال هيكل الاَّ مثل رجل دخل غابة كثيفة فاخذ ينظر في كل شجرة من اشجارهِ ولكنهُ لم يمتدَّ ببصرهِ الى الغاب كلهِ المؤلف من مجموعها كما ان الفلاسفة الذين قالوا بمذاهبهم في الكون نظروا الى الغاب جملةً ولكنهم لم يدخلوا فيهِ لتعرُّف كل شجرة من اشجارهِ على حدة فانت مذاهبهم مغلوطة او غير ناضجة بخلاف دارون فانهُ تعرَّف كل شجرة من اشجارهِ ثم رجع ونظر فيهِ جملة . وهذا شأن اكثر الناس في مباحثهم فمنهم من يقف عند تعرُّف الجزئيات ولا تجد عندهُ اقل ميل للنظر في الكليَّات ومنهم من يمتدُّ بنظرهِ حالاً الى الكليات وما مثل الاولين الاَّ مثل العامل الذي يقطع الحجارة ويحتها والآخرين مثل البنَّاء الذي يبنيها . فان ابحاث علماء الاجسام الحيَّة في تركيبها والفوارق التي بينها والاعضاء الاثريَّة التي فيها واختلافهم في عدد الانواع واختلاطها في آفاقها كل ذلك كان قد زعزع مذهب الخلق النوعي المستقل . وكانت ابحاث لَيل في طبقات الارض قبل ذلك قد اثبتت حصول التغيُّر التدريجي فيها ونفت القول بمذهب النكبات الجيولوجية الكلية الفجائية واجهزت على القول بمذهب الخلق الكلي ثم جاءت الاحافير التي اكتشفت في هذه الطبقات مؤيدة للتحوُّل البطيء في الاحياء نفسها . فلما جاء دارون لم يكن عليهِ الاَّ النظر في ذلك جملةً لتأييد مذهب التحوُّل ونسبتهِ الى اسباب مختلفة طبيعيَّة حدت بهِ الى وضع مذهبهِ الشهير وهو الانتخاب الطبيعي تبعاً لناموس المطابقة القائم على تنازع البقاء وبقاء الانسب . وعزَّز قولهُ بانهُ تحدِّي الطبيعة وايَّد عملها بالانتخاب الصناعيّ

واغرب مما تقدَّم ان دارون نفسهُ مع انهُ واضع اساس مذهب النشوء والتحوُّل الطبيعي لم يستنتج من مذهبهِ كل ما يترتَّب عليهِ من النتائج الصريحة اما لانهُ لم يستطع او لم يجسر لشدَّة تأثرهِ بالمذاهب الشائعة واما لانهُ لم يرد ليردَّ عنهُ مقاومة اصحاب الخلق النوعي لصعوبة اقامة الدليل العلمي على التولد الذاتي . فقال ان الاحياء نشأت في اول الامر من

خمسة او ستة اصول تامة الخلق ومنها تفرّعت سائر الاحياء المعروفة اليوم والبائدة بفعل نواميس الطبيعة نفسها. ولكن التحفظ لم يدنه شيئاً فقد لاقى مذهبهُ مع ذلك مقاومات شديدة جدًّا من اصحاب مذهب الخلق النوعي وخصوصاً من اذنابهم اصحاب المبدإ الحيوي . على ان الذي لم يتصل اليهِ دارون او لم يشأ ان يصرّح بهِ فعلهُ معتنقو مذهبهِ بعدهُ على اثر انتشارهِ حالاً واطلقوهُ على سائر الطبيعة . واكبر زعمائهم هكسلي وسبنسر في انكلترا وهكل وبختر في المانيا

وسواء هبطت اصول الاحياء من السماوات العلى كما يفهم من قول دارون او وصلت الينا من بعض الاجرام محمولةً على بعض النيازك كما ذهب السير وليم طمسن المعروف باللورد كلفن ايضاً صاحب المباحث الكبرى في فلسفة الكون وواضع مذهب الحلقات الزوبعية في الميولى لتعليل الجواهر الفردة فان ذلك لا يؤيد مذهب الخلق الفجائي الذي هو كالتولد الذاتي ليس لنا عليهِ ادنى دليل علميّ او شاهد عيانيّ ولا ينفي كون التولد الذاتي حاصلاً في الاجرام التي هبطت الجراثيم منها او ممكناً في الارض التي نمت وتحولت فيها وانما يثبت شدة تأثر العقول بالمذاهب الشائعة ولو انها بقايا اساطير تخالف العلم . وخصوصاً انقيادها لمذهب القائل بان القوى الحيويّة لا علاقة لها بالقوى الطبيعية وكل علاقتها بها انما هي عارضة . وهو بقيّة رثّة من مذهب تعدُّد القوى في الطبيعة لا تنطبق على فلسفة ناموس الاشوء والتحوُّل الذي صار اليوم في حكم المقرَّر لدى جمهور العلماء والذي لا يشرف الاَّ بوحدة هذه القوى لثبوت تحوُّلها بعضها الى بعض . وكأن زعماءهُ انخفض صوتهم جدًّا اليوم

وواضع اساس هذه الوحدة في نواميس الطبيعة هو بالحقيقة اسحق نيوتون الفيلسوف الرياضي الانكليزي الشهير وذلك في القرن السابع عشر . فانهُ لسبب طفيف يعرض لكلٍّ منا في كل دقيقة ولا يقف في الخاطر وهو سقوط تفاحة من الشجرة الى الارض اكتشف نواميس الجاذبية العامة وأقرَّها على اساس علميّ واطلقها على كل الكون وقد اشار فلاسفة اليونان الى هذه الجاذبية في نظرهم الى الكواكب واعتبارها عامّة دورانها بعضها حول بعض . وقد نقل العرب عنهم ذلك وعبَّروا عنهُ بلفظة الشوق ولم يزيدوا على ذلك . وقد استعملت هنهم هذه اللفظة للتعبير عن الجاذبيّة في قولي

لولا الهوى وبديع الشوق يهديهِ ما صحَّ في الكون معنى من معانيهِ
ولاسرى النجم في العلياء وانتظمت لهُ المواقع لتعديلٍ وتدنيهِ

فمرجع الفضل في اكتشاف نواميس الجاذبية وتطبيقها على العلوم الرياضية انما هو لنيوتن

وحده كما ان الفضل في تقرير مذهب النشوء والتحوّل على مبادىء عملية اختبارية ثابتة هو لداروين وحده . على ان نيوتن وقف في مذهبه عند هذا الحدّ ولم يشر الى العلاقة بين جاذبيته وسائر قوى الطبيعة ليردّ هذه اليها او يجعل تلك منها حتى انتشر مذهب النشوء والتحوّل فاتمّ الرابط وصارت هذه النتيجة لازمة لدى معتنقي هذا المذهب كما في هذا القول

شوق تكامل من ادنى الوجود الى ... اعلى فأعلى الى أعلى أعاليه
حتى تناهى وقلب المرء تلهبهُ ... نارٌ من الحبّ يذكيها وتذكيه

ولاسيما انهُ كان قد تقرّر قبلهُ تحوّل قوى الطبيعة بعضها الى بعض كالحرارة والنور والكهربائية واعتبارها جميعها من اصل واحد

الدكتور شميل

الاجتماع

والخلل في الغريزة العائلية والنقص في القانون

بيّنت في المقالة التي صدرت في مقتطف الشهر الماضي الخلل التي يرافق وظيفة حفظ النوع واقتصرت في البيان على ما يسمح المقتطف بنشره وضربت صفحاً عمّا شاهدت من الحوادث الغريبة التي تؤيد ذلك ولا تبقي مجالاً للريب . وسأبيّن في هذه المقالة الخلل في الغريزة العائلية وقد تسرّت الكلام عليها هنا دون بقيّة الغرائز لانها فرع من وظيفة حفظ النوع والصفة التي يتوقف عليها حب العائلة وينشأ منها النظام الاجتماعي . وسترى فيما يأتي ان الغرائز في الحيوان والانسان لا يصح الاعتماد عليها في الاعمال الحيوية ولا في الاوضاع الادبية لان في عملها خللاً تابعاً لخلل الاصل الذي نشأت منهُ . ولا غروَ اذا وجد الخلل في غريزة الانسان العائلية لانها احدث عهداً في تاريخ النشوء من الغريزة الجنسية ولانها في الحيوان اضعف منها في الانسان واقل وضوحاً من بقية الغرائز

ومما يدعو الى تدقيق البحث في هذا الموضوع ما نراهُ دائماً من زعم بعض الكتّاب والمفكرين لاثبات بعض النظريات في فلسفة الاجتماع العائلي والجنسي ان الاجتماع بلغ في سلّم الارتقاء الغاية التي لا غاية بعدها والانسانية بلغت حدّاً من الكمال لا يقبل المزيد لان العقل البشري ضمنَ السعادة للانسان بما اكتشف من اسرار الطبيعة وبما سنّ من الشرائع والقوانين والنظامات . على ان حكمهم هذا لا تؤيدهُ البراهين الوضعية ولا تنطبق موادّهُ على

العوامل والظواهر الطبيعية ولو تعمّقوا في درس النظام الطبيعي لعرفوا فساد مقدماتهم ومن ثم فساد نتائجها . والفيلسوف الحقيقي لا يخدع بالظواهر بل يمعن النظر في كل ما يقع تحت حواسه ويرجع به الى مصدره ولا ينفك حتى ينكشف له سرّه ويفهم معنى وجوده

لا صحة لما يزعمهُ عامّة الناس ان الغريزة في الحيوان دليل امين للعمل الحيوي لانها مختلة في عملها وفاسدة في نظامها وقد بيّنت في المقالة السابقة الفساد الذي يرافق غريزة حفظ النوع في الانسان لانها تنحرف عن قضاء العمل المعينة لهُ الى عمل آخر هو ضد الطبيعة . والغريزة الاجتماعية او العائلية تنحرف ايضاً عن عملها الى عمل آخر هو ضد الاجتماع ويظهر ذلك في الحيوان بقتل صغاره وفي الانسان بالاسقاط ومنع التوالد . فالانسان لا يختلف بذلك عن الحيوان الاّ بكونهِ يتذرّع بما عندهُ من العلم والمعرفة لاتخاذ الطرق المانعة الحمل او المسهلة الاسقاط فقل بذلك اضطراره الى قتل الاطفال . فالغريزة العائلية فيهِ ارتقت كثيراً عما هي في الحيوان ولكن بقي فيها اثر الضعف الحيواني

من مفاسد الاجتماع الراقي ميل الانسان فيهِ الى تقليل نسلهِ لانهُ في الاصل كثير التوالد فاستنبط الوسائط المتعددة لتقليلهِ وغلب في الامم المتوحشة او القليلة التمدّن الاتجاه الى الاسقاط وفي الامم المتمدنة والراقية الاتجاه الى ما يمنع الحمل . والاسقاط معروف منذ القديم لان فلاسفة اليونان كانوا يجوزونهُ في بعض الاحوال واليهود والفرس كانوا يعاقبون عليهِ وهو لا يزال كثيراً عند الهنود المستقلين وغير قليل عند الهنود الخاضعين لحكم الانكليزي والبعض يجريهِ علناً دون خشية العقاب من اية سلطة كانت . ولو وقف هذا الخلل عند الامم المنحطة لقلنا ان الاثر الحيواني لا يزال راسخاً فيها وانها لا تستطيع ان تتغلب عليهِ الاّ بارتقاء الانسانية . على ان وجودهُ عند الامم الراقية دليل على رسوخهِ في الانسان ولو خلا في سلم المدنية لانهُ ليس بنادر حتى عند ارقى الامم مدنية رغماً عن مراقبة السلطة ومعاقبة القانون . ومن الامثلة على ذلك ان بعض الاتراك يعتقدون ان حياة الجنين الحقيقية لا تبتدئ قبل الشهر الخامس فلا يحسبون الاسقاط قبلهُ جريمة على انهم لا يقفون عند هذا الحد ولا يمتنعون عن اجرائهِ بعد اعتباره جريمة فقد حكم في الاستانة في مدة عشرة اشهر من سنة ١٨٧٢ بثلاثة آلاف حادثة اسقاط . وهو في اوربا اقل منهُ في الشرق لان المراقبة هناك اشد ولان الحكومة اقامت الملاجئ للاولاد غير الشرعيين فقلّ الاسقاط عندهم وزاد عدد الفقراء وهذا هو السبب في زيادة الاسقاط في الشرق وقلة الفقراء وقد كثر الميل لتقليل النسل الى درجة توجب الاسف حتى اصبحت النساء المتمدنات

تفتخرن بالاسقاط كما تفتخر به نساء الامم المنحطة ومعذرهن في ذلك عدم استطاعتهن اعالة عائلة كبيرة في احوال المدنية الحاضرة . ويميل السواد الاعظم في هذه الايام الى الوقوف عند الولادة عند حد ولد او ولدين

اما الحيوانات فليس في وسعها ان تجري عملية دقيقة ومركبة كعملية الاسقاط فتقلل نسلها بقتل صغارها وقد انتقل هذا العيب الغريزي فيها الى الانسان لانهُ عدا عما هو فيهِ من فساد الغريزة بمنع التوالد والاسقاط لا يزال يحفظ في غريزته اثرًا من الغريزة الحيوانية بقتل الصغار فاليونان والرومان كانوا يعتبرون الطفل المولود حديثًا غير متمتع بحق الحياة والالمان كانوا يهجرون اولادهم والعرب قبل الاسلام كانوا يئدون بناتهم اي يدفنونهن احياء والهنود واهل الصين يقتلون نحو ثلثي بناتهم ولا يزال ذلك جاريًا عند الشعوب المنحطة في سلم المدينة او الآخذة بالانقراض كسكان جنوب غاليا الجديدة وفينيا الجديدة . ويمكن ايراد شواهد كثيرة على ذلك استنادًا على بعض العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع وعلى تقارير المرسلين نضرب عنها صفحًا اكتفاء بما ذكر . على ان اوضح دليل على ضعف الغريزة العائلية هو وجود هذه العادة عند الامم الراقية حيث قامت الطرق العملية التي لا خطر منها على صحة المرأة مقام الطرق الخشنة التي تستعملها الامم المتوحشة

واذا بحثنا عن انقراض بعض الشعوب علمنا انهُ من ضعف الغريزة العائلية فيها او من عدم نموها الا ان ذلك لا يوجب الاعتقاد بامكان انقراض الجنس البشري لان هذه الغريزة متأصلة كثيرًا في الانسان واصلها الحيواني قد يؤدي الى انقراض بعض الشعوب او بعض الانسان ولكن يبقى منها فيهِ ما يكفي لحفظ نسلهِ الى مدى الاجيال . ولعل العلم ينفع المدنية المستقبلة بوضع نظام للعيشة سهل وبسيط ويسهل الكسب والسعة للعموم فتقوى بذلك الغريزة العائلية ويقل الميل لتقليل النسل

لا ريب ان الانسان كائن اجتماعي والغريزة الاجتماعية فيهِ وان تكن حديثة الا انها فيهِ ارقى جدًا منها في كل جمعية حيوانية حتى ان القرود الشبيهة بالانسان لم تتقدم من هذا القبيل تقدمًا كبيرًا وبعضها وان اظهر من عواطف الحب ما يدل على اهليتها للعيشة الاشتراكية كما نراها وهي في الاسر الا انها في الحالة الفطرية لا تعيش الا عيشة عائلية ولا تتألف جميعها الا من افراد العائلة ويندر ان يجتمع منها عشرة معًا . روى بعضهم اجتماع خمسين قردًا يلعبون معًا على ان ذلك نادر واذا ثبت فهو لا يدل الا على دور اجتماعي في اول نشأتهِ . والاجتماع الانساني هو بدون شك ارقى واعلى مما لا يقدر حتى ان الشعوب

الخطة كثيراً في سلم المدينة والاقرب الى الفطرة الاصلية كاهالي استراليا الاصليين تظهر الغريزة الاجتماعية فيهم باكثر وضوح مما هي في القرود

ان وضوح الغريزة الاجتماعية في الانسان مال بالفلاسفة والمفكرين الى الاعتقاد بانها خاصة طبيعية يمكن للهيئة البشرية ان تتخذها قاعدة لسعادة الحياة . وقد افرغ العلماء مجهودهم لوضع نظام ادبي على اساس علمي لا يكون فيه دخل للقوى التي فوق الطبيعة فاخفقوا ولم يستطيعوا الوصول الى الغرض الذي يرمون اليه لانهُ لم يكن عندهم ما يرجعون اليه في مطاليهم سوى اضطرار الانسان الغريزي الى العيشة الاجتماعية وكان هذا المعوَّل عليه منذ القرن الماضي الى الآن فذهب بختر وهو من اركان العلماء المادبين " ان ما يدعى بالحس الادبي ينشأ من الغرائز الاجتماعية او من العادات التي تمر في الجمعية حيوانية كانت او انسانية وان الناموس الادبي ينشأ من الاجتماع ويتكيف في جمعية معلومة بمقتضى التصوُّرات والحاجات التي تتطلب في تلك الجمعية . وذهب ايضاً الى ان الانسان كائن اجتماعي ولا يمكن اعتبارهُ خارجاً عن الاجتماع الاَّ حيواناً مفترساً فمن الواضح ان الحياة الاشتراكية توجب عليه واجبات اشتراكية وتتألف ثمة منها مبادئ ادبية خصوصية " وبقي هذا الرأي معتمداً الى عهد قريب لان هكل وهو من اركان العلماء المعاصرين يرتأي " ان الشعور بالواجب لا يتوقف على حكم القانون بل على مدلول الغرائز الاجتماعية الموجودة في كل الحيوانات العليا التي تعيش مجتمعة والتي غايتها العظمى في الحالة الادبية التوفيق بين الانانية والغيرية . اي بين حب الذات وحب الغير فاذا شاء الانسان ان يعيش في جمعية حسنة النظام وان يكون سعيداً وجب عليه ان يسعى للحصول على سعادته الخصوصية وعلى سعادة المجتمع الذي يختص هو به وسعادة امثالهِ الذين يؤلفون ذلك المجتمع وعليه ان يعرف ان نجاحهم هو نجاحهُ وان شقاءهم هو شقاؤهُ . وهذا الناموس الاساسي الاجتماعي بسيط وطبيعي حتى يتعذر علينا معاكستهُ نظرياً او عملياً وهو جارٍ اليوم كما كان يجري منذ الوف من السنين " . على ان علماء هذه الايام يخالفون هذا الرأي لانهم تيقنوا وجود الفساد في الغريزة وعدم صحة الاسترشاد بها فالادب الذي يعزوهُ هكل الى الغريزة الاجتماعية ونموها في الانسان والحيوان يرجع في وضعهِ الى نمو القوى العاقلة كما لا يخفى . وقد اوضحنا في ما سبق ان الغرائز الجنسية قد تقوم بمطاليها افعال ضد الطبيعة والغرائز الاجتماعية قد ترضى بافعال ضد الاجتماع لان منع النوالد والاسقاط وقتل الاطفال افعال ضد الاجتماع وتسيير جنباً لجنب مع حب الزوجة وحب الاولاد ونرى ايضاً ان لاعداء الهيئة الاجتماعية اي الاشقياء والقتلة وسفاكي الدماء نوعاً خصوصياً من الاخلاق

الادبيَّة فهم اسناه بعضهم لبعض ويميل بعضهم الى بعض ويكرهون سواهم وقد يكون لاحدهم وهو اكثر الناس شرًّا وافظعهم عملاً واشدهم رهبة انعطاف خاص لأحد امثاله . فالغريزة الاجتماعية ليست ان يكون لكل انسان او لكل فئة غريزة اجتماعية خصوصية بل هي التي تؤهل افراد الهيئة الى عمل مشترك يكون فيهِ من التضامن العام ما يضمن السعادة للعموم والاَّ بقيت الغريزة الاجتماعية في الانسان دون درجة البلوغ لبنيان الاجتماع وتشييدهِ على اركان السعادة

رغماً عمَّا بلغ الانسان من المدنية والعلم لا تزال غريزتهُ الاجتماعية ناقصة لانها لا تستطيع ان ترشدهُ الى الخطة التي يجب عليهِ ان يتبعها ولا ان تدلهُ على الحدود التي يصح أن يقف عندها وهذه هي العقدة التي لا يمكن حلها حلاً مرضيًا لا بالنظريات العقلية ولا بالتعاليم الدينية . لان تشويش الغريزة في عملها يشوش على الانسان عملهُ واذا استرشدها ارتبك بين ان ينحصر ميلهُ في اقاربهِ او ابناء ملتهِ ودينهِ او قومهِ كانوا على شرورهِ وآرائهِ وتصوراتهِ او ان يتوسع فيهِ الى كل الجنس البشري سواء في ذلك السود او البيض والصالحون والطالحون . ومن المعلوم ان الآراء لحل هذا الاشكال قد اختلفت كثيرًا باختلاف الازمنة والتصورات فكان الشعور الديني قبل هذه الايام مقدمًا على كل شعور سواهُ وكان الدين الصلة القوية بين الشعوب والحروب الدينية يثور ثائرها بدون انقطاع والدين المسيحي وهو من اشد الاديان تسامحًا لم يقوَ على تسكين ثورة هذا الشعور المخجل والامم المسيحيَّة التي يقول لها مشترعها من لطمك على خدك الايمن حوِّل لهُ الايسر كانت اشد الامم حماسًا للقتل وسفك الدم ولم تقتصر في ذلك على عداوة الامم التي لم تكن على دينها بل انتشرت العداوة بين محلها المختلفة فثارت حروبًا دموية بعضها على بعض رخصت فيها الارواح ودلت اوضح دلالة على فساد الغريزة الاجتماعية وعلى عدم استطاعة الدين على اصلاح فسادها . ثم ضعف الشعور الديني وحلَّ محلهُ الشعور الوطني ولكنهُ لم يكن اقل منهُ انحرافًا ولا اضعف نظامًا لانهُ أثار ايضًا من الحروب اكثر مما أثار ذاك وهدم من بنيان الاجتماع اكثر مما هدم ذاك والتاريخ الماضي والحاضر شاهد على ذلك . وقد اخذ في هذه الايام ينتشر مبدأ التضامن العام وعليهِ اجتمعت امم تخالفة الدين واللغة والعوائد والاخلاق وحملوا على الصين حملة مشتركة ولم تجمعهم تلك الجنسية لان الجنس المغولي انضم الى الاجناس الاوروبية ولا الرابطة الدينية لانهم كانوا مؤلفين من كاثوليك وبروتستانت وارثوذكس وبوذيين على ان ذلك ليس من التضامن العام بل هو تضامن فئة كبيرة مشتركة في المنافع ومتشابهة في التدريب العسكري والسياسي

فالتضامن العام هو ان يشعر كل فرد من افراد الهيئة البشرية بواجب العمل بما فيه سعادة الكل . ويزعم البعض ان هذا الميل سيزيد انتشاراً حتى يشعر البشر كلهم انهم متضامنون على ان ذلك مما يعسر او يستحيل تحقيقهُ لما فيهِ من التشويش لان الميل المتطرف مضر ويدعو احياناً الى الانعطاف على الاشرار المضرين بالهيئة الاجتماعية وقد حمل بعض الامم على الاشتراك في الحرب بدون ان يكون لها منها فائدة ولهذا يفضل ان تقيد الغريزة بفائدة الناس المجتمعين لغاية مشتركة . وقد ظهر من احتكاك الاجناس المختلفة بعضها مع بعض في المعايش والمرافق صعوبة كبرى في تطبيق هذا المبدإ ونرى النزاع قائماً على الدوام في اميركا بين البيض والسود . ونرى الصينيين يحرمون في اميركا واوستراليا من بعض الحقوق التي يتمتع بها اهل البلاد

اتضح مما تقدم ان الغريزة الاجتماعية هي من مكتسبات الانسان الحديثة وانها لاتزال فيهِ ضعيفة او غير بالغة حدّ التمو بحيث لا يصح الاسترشاد بها لوضع نظام ثابت يصح العمل بهِ والسير بمقتضاهُ فاضطر الحال منذ الازمنة القديمة الالتجاء الى سنّة الوحي او الشريعة الدينيَّة لربط العلائق بين الناس والتوفيق بين مصالحهم . وبعد ما تشعبت المصالح وتعددت المطالب اضيفت اليها الشريعة الوضعية او القانون المدني فتوصلوا بذلك الى نوع من نظام الحياة المشتركة على ان ذلك لم يأتِ الانسانية بضالتها المنشودة بل هو اشبه بمحاولة الطبيب في مداواة مرض عضال لا يرجى منهُ الشفاء فهو يحاول ان يدفع الالم عن المريض او ان يطيل اجلهُ اذا استطاع لانهُ عند وقوع الكوارث التي تقوم فيها الفوضى مقام النظام وتستولي فيها النقاب على وجه القانون تظهر الغريزة باقوى مظاهرها من الخمال ومن امثلة ذلك ما شاهدتهُ في كارثتين مهمتين احداهما في مدينة بيروت سقطت فيها منازل كبيرة على سكانها فاحتشد الناس لمساعدة المنكوبين واخراج المردومين وتشاغل الكثيرون عن المساعدة بسلب ماوقعت عليهِ ايديهم . والثانية في مدينة زحلة احترقت فيها السوق الكبيرة فاسرع الناس الى تخليص البضائع لاصحابها ولكن ضاع منها بالنهب بقدر ما ضاع بالحريق . وما كدت افرغ من كتابة هذه الاسطر حتى ابدت ذلك الانباء البرقية عن زلزلة مسينا فان الغرائز الطبيعيَّة انحلت من قيودها وانقضَّ اللصوص على الخازن ينهبونها واضطرت الجنود ان تفرقها بالسلاح

فالاجتماع اذاً لم يبلغ منتهى امل الانسانية بتشييد بنيانهِ على اركان ثابتة تثبت معها سعادة الانسان . وارى من الصعب او المستحيل تحقيق هذه الامنية ما دامت الغرائز مختلفة في عملها ومضلة في دلالتها وما دامت المنافع متعددة ومتنوعة والكل يعمل للاستئثار بها لان

حب الاثرة والسلطة من مظاهر الحيوانية او بالحري من الافعال الطبيعية التي تأصلت ونمت في كل الكائنات الحية وجعلت الحي يسعى لحفظ كيانه باستنصال ما يقدر على استئصاله مما يعترض كيانهُ او بمحاربة ما لا يقوى عليهِ بما سلحتهُ بهِ الطبيعة من الاجهزة التي تدفع عنهُ الأذى بحيث اصبحت الحياة حيوانية كانت او نباتية جهادًا مستمرًا يبتدئ منذ اول وجود الحي الى ان تنتهك قواهُ وتخل عزيمتهُ و يضمحل من عالمهِ. وهذا هو الناموس الطبيعي المعروف بتنازع البقاء . ومهما بلغ القانون من الكمال فلا بد من بقاء اثر فيهِ للنقص الدال على نقص في الغريزة وان يبقى فيهِ لقصير لعدم امكان احاطتهِ بكل ما يتفرع من المسائل التي تعرض عليهِ وهو يحاول حلها بتطبيق موادهِ التي وضعت للنظر الاجمالي في اعمال اجمالية فتطبيق المادة على اعمال افرادية قد لا يكون صحيحًا او لا يفي بالغرض المطلوب

وقد حاول الانسان منذ مئات من السنين تهذيب القانون وبالتوسع في موادهِ حتى يمكن تطبيقها على كل قضية يعرض حلها عليهِ وربما زعم واضعوهُ والمشتغلون بهِ انهم وصلوا الى الغاية التي يرجونها منهُ وهي بسط العدالة وسعادة الاجتماع ولكنهم متى اخطروا الى التطبيق وجدوا من العثرات والصعوبات ما لم يكن في الحسبان فيعودون الى التغيير والتبديل والتحوير والتحويل وتبقى مع ذلك الحالة على ما هي من التعقيد والاشكال ولو رجعوا الى النظام الطبيعي لعرفوا ان الخلل من سوء هذا النظام وان لا مناص في اشتباك عناصر الاجتماع من ارتكاب المظالم ولا مناص ايضًا من وجوب تحملها

ولا ينكر ان الاجتماع قد ارتقى كثيرًا ولا سيما في العصر الاخير ولكن سيف ارتقائهِ شذوذًا وفي قانونهِ خروجًا عن الحدود لا يمكن التعليل عنهما الاَّ بفساد الغريزة فقد تطرف محبو الانسانية بتأليف الجمعيات للرفق بالحيوان وزعموا ان ذلك من واجبات الانسانية ويحتم على كل فرد العمل بهِ ولكن فاتهم ان تطرفهم شذوذ عن الواجب الانساني لانهم يرفقون بالحيوان ويجورون على الانسان فيحذرون على الحوذي ان يضرب البهيم بسوطهِ ولكنهم لا يستنكرون ضرب الحوذي باسواطهم و يرفقون بالحيوان الآهل الذي ينفع الانسان بخدمتهِ ولكنهم يذبحون الحيوان الآهل الذي ينفعهُ بغذائهِ. فالرفق بالحيوان انما هو الاَّ من اثانية الانسان وحبهِ للأثرة وليس هو في شيء من كمال الاجتماع

وقد شرعت رسل السلام في هذهِ الايام تبشر بسعادة الاجتماع وتطلب من اصحاب الأثرة والسلطة نزع السلاح والنزوع الى التضامن العام. ولكن انَّى لمستأثر ان يرضى بذلك وهو يرى الملايين تأتمر بأمرهِ وتتفانى في خدمتهِ فيقودها على اهوائهِ كما يقود الراعي قطيعًا

من الانعام فلا يرضى ان ينزل عن عرش الالوهية ويستوي في مصاف الرعية . وازى ان الحكومة الدستورية لا تبعد كثيراً عن حكومة الفرد في تأدية الوظيفة الاجتماعية ولا تختلف عنها الاَّ من حيث توزيع الاثرة لان الحق في كثيرها هو في جانب القوة ولان القانون يخوّل رجال الحكومتين ان تهدر الدماء وتذهب بالارواح بلا حساب ولا مبالاة . والفرق بينهما أن الحرب في الاولى تشهر بارادة الفرد وفي الثانية بارادة الافراد وفي الاولى لارضاء رغائب الفرد وفي الثانية للدفاع عن مصالح الوطن وشرفه ولكنها هي الحرب على الحالين والدماء تهرق فيها في الحكومتين . فالحكومة الدستورية التي تفضل كثيراً حكومة الفرد لم تقم بالواجب المطلوب منها نحو الاجتماع بنشر السعادة وبسط العدالة بل بقيت هذه المسئلة فيها كما كانت في الحكومة المطلقة من المسائل المعقدة التي لا تحل او لا يحلها الاَّ الزمن الآتي البعيد

ومن غريب التمويهات ادعاء الحكومات الدستورية ان الغاية من زيادة المعدات الحربية هي حفظ السلام العام ولو اجمعوا على العدول عنها ورفعوا عن اكتاف العامة عبء اثقالها لما كان في عملهم هذا ما يخل بالسلام العام بل كان هو السلام بعينه ولكانت الالوف العديدة تتخلص من قيود الجندية وتشترك في العمل لخدمة الهيئة الاجتماعية وكانت العقول الثاقبة التي انصرفت الى اختراع معدات القتل تنصرف الى اختراع معدات العمران ولكانوا يستغنون عن القانون العسكري وعن المحكمة الدولية التي وضعت اصلاً لتوطيد دعائم السلام فانصرفت الى سنّ قوانين الحرب واشتغلت بفصل الخلاف في توزيع الغنائم

يزعم اهل السياسة ان محكمة لاهاي هي من محاسن هذا العصر لانها محكمة السلام وبها تجتنب الحروب ويمنع هرق الدماء ولكنها منذ تشكيلها الى الآن لم تمنع حرباً ولا حقنت دماً فقد دعي لمقدها كبير من كبار العصر ورئيس من اعظم رؤساء الحكومات الذي يقبض على زمام اكثر من ٤٠٠ مليوناً من البشر وما كادت تتألف حتى التهبت في حرب دموية شابت لهولها الاطفال ولم يذكر التاريخ حرباً اكثر منها شؤماً واشد هولاً وانتك في النفوس واقتل في المهج فاشتغلت محكمة لاهاي حينئذٍ بوضع قانون للحياد ولتدوين السفن الحربية ولغير ذلك من المسائل الخارجة عن وظيفتها الاصلية . وذاك الرجل العظيم الشان الذي تحني لهيبته الرؤوس اجلالاً ولا يذكر اسمهُ الاَّ بالتعظيم والاحترام ما كاد يخرج من تلك الحرب المشومة حتى انتشرت الثورة في بلاده وفاضت بها الدماء وعمّ البلاء ومع هذا كله فمحكمة لاهاي التي قامت بدعوته لم تأتِ عملاً ولا اوقفت حرباً ولا حقنت دماً ولا وجهت اليهِ لوماً فوجودها اذاً لا يبرهن على حصول التضامن العام بل بالعكس يدل على خلل الغريزة الاجتماعية ويؤيد

ما قلناهُ سابقاً انهُ لا يجوز الاسترشاد بها الى سن القانون فهو اشبه بتربيزة انتخاب الطعام التي لا يهتدي بها الانسان الى انتخاب ما يلائمهُ من الغذاء فليأتِ الى العلم الذي هداهُ الى معرفة الغذاء الموافق لهُ في كل احوال المعيشة. ولهذا يجب ان نعرف اولاً ما هي مطالب الغريزة الاجتماعية ومن ثم نبحث في الوسائل التي تساعد على سعادة الافراد من المجتمع الانساني لان السعادة المطلقة يتعذر الحصول عليها والسعادة الحقيقية غير محدودة ولا معروفة وما نعتبرهُ سعادة في الواحد قد يكون شقاء في الآخر وربَّ قائل يقول عن نفسهِ انهُ سعيد والعموم ينكر عليهِ ذلك او يحكم لهُ العموم بالسعادة وهو ينكرها على نفسهِ هذا عدا عن ان الشعور بالسعادة التامة كثيراً ما تكون عرضاً كما في الجنون او الفالج العام والحصول عليهِ يجب ان يكون كل الناس مجانين وعليهِ فالسعادة التامة والحقيقية ليست بموجودة لانها ترتبط ارتباطاً متيناً بالسعادة الاجتماعية وما دامت هذه بعيدة الحصول فتبقى هي والعدالة من العقد التي لا يسهل حلها

يقول البعض ان القوانين وضعت في اجتماع يختلف عن الاجتماع الحالي فيجب نقضها برمتها وسن قانون جديد يوافق المدنية الحاضرة لان اصلاح البناء المختل لا يجود العمل فيهِ كما يجود في البناء الجديد على ان ذلك لا يأتي بالغاية المطلوبة لان المدنية ليست واحدة بل تختلف باختلاف الامم في عوائدها واخلاقها وآدابها فلا يمكن ان يكون القانون شاملاً وثابتاً الاَّ ان تكون المدنية واحدة واخلاق الامم كلها واحدة وثابتة وما دام الناموس الطبيعي يقضي بعد الثبوت على حالة واحدة فالقانون لا يمكن ان يكون ثابتاً بل يتنوع بحسب تقدم الامم في المدنية

وقد اصاب صديقي الدكتور شميل بانتقادهِ القانون في رسالتين بليغتين نشرهما المقطم واخطأ الذين حملوا عليهِ وسفهوا رأيهُ لانهُ فاتهم انهُ بعيد المرمى وشريف الغاية ولذا تطفلت على البحث في هذا الموضوع من الوجه الفلسفي والعلمي لايضاح ما اشكل على مناظريهِ وفضلت نشرهُ في المقتطف لسعة باب البحث فيهِ وانما وجلت هذا الباب اظهاراً للحقيقة من جهة واستدراراً لمعارف الادباء من جهة اخرى وما انا في هذا البحث سوى ملتقط فتاتاً من موائد اهل العلم ولعلَّ صديقي الدكتور شميل يتحف القراء بنفثات قلمهِ السيال لانهُ غزير المادة وواسع الاطلاع في هذه الابحاث وقلَّ من يجاريهِ فيها ويتنفيهِ علماء القانون وغيرهم من رجال العلم والادب الذين يهمهم ارتقاء الاجتماع ووضع نظام لنمو الانسانية يكون فيهِ اقل ما يمكن من الشوائب لتمكن افراد المجتمع من الحصول على قدر ما يمكن من السعادة والتمتع بقدر ما يمكن من العدالة

الدكتور امين ابو خاطر

شعر الشريف الرضي

قالوا ان الشاعر الذي يطمع في تخليد ذكره يجب ان يكون مجيدًا وغير المجيد من الشعر لا يبقى بعد ناظمهِ ولا عبرة بالاكثار لان الاكثار وحدهُ لا يكفي لجعل الشاعر في مصاف الشعراء المطلقين فهذا السموأل مثلاً يعدهُ في الطبقة الاولى على اننا لا نذكر لهُ غير القصيدة التي مطلعها

اذا المرءُ لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميلُ

وامرؤ القيس ديوانهُ صغير ولم يصح منهُ سوى معلقتهِ المشهورة الاَّ ان الشريف الرضي قد جمع بين الاكثار والاجادة حتى انهُ دعي في وقتهِ اشعر قريش لان شعراءهم لم يكثروا او ان المكثر منهم لم يكن مجيدًا والمجيد لم يكن مكثرًا والرضي قد فاز بالامرين فكان شاعرًا معدودًا ولم يزل يحسب من عداد الشعراء الثابتين مثل المتنبي وابي تمام والبحتري . ومن الناس من يفضلهُ عليهم والظاهر انهُ فاقهم بمقدرتهِ الفائقة على امتداد النفس في نظم القصائد الطويلة فكان ينظم القصيدة ويبلغ بها المئة بيتًا ثم هو لا تبدو عليهِ امارات الكلفة التي كثيرًا ما تظهر في شعر غيرهِ اذا عمد الى التطويل . وكان مطبوعًا على السهل من النظم فهو يشبه بهاء الدين زهيرًا من هذا القبيل على انهُ كثيرًا ما كان يغرب في شعرهِ شأن سائر الشعراء فيستشف منهُ انهُ اغرف عن فطرتهِ وحاد عن سليقتهِ واليك مثالاً من شعرهِ اللطيف السهل

بلونا ما تجيءُ بهِ الليالي فلا صبح يدوم ولا مساء
وانضينا المدى طربًا وهمًّا فما بقي النعيم ولا الشقاء
اذا كان الاسى داء مقيمًا في حسن العزاء لنا شفاء
ولا ينجي من الايام فوت ولا كدٌّ يطول ولا عناء
تنال جميع ما تسعى اليهِ فسيَّان السوابق والبطاء

ومن غريبهِ

ما يصنع الدهر بالجرد السراحيب ان كان وعد الاماني غير مكذوب
لله امرٌ من الايام اطلبهُ هيهات اغلب امرًا غير مطلوب
لا تصحب الدهر الاَّ غير منتظر فالهمُّ يطردهُ قرع الظنابيب
واقذف بنفسك في شعواء خابطة كالسيل يعصف بالصوان واللوب

ان حنّت النيب شوقاً وهي واقفة فانّ عزمي مشتاق الى النيب

وكان يحفظ شعر المتنبي ويعجب بهِ ولولا ذلك ما كان علق في ذهنهِ واصبح من جملة محفوظاتهِ على ان البعض رووا عنهُ انهُ كان في احد الاوقات يبحث في شعر المتنبي وينتقدهُ ويظهر معايبهُ ويقول ان المتنبي ليس بشاعر وكان ابو العلاء المعري في مجلسهِ فسألهُ الشريف عن رأيهِ في ابي الطيب فقال ابو العلاء على الفور ان لم يكن للمتنبي غير قصيدتهِ التي يقول في مطلعها

لكِ يا منازل في القلوب منازل اقفرتِ انت وهنّ منك اواهلُ

لكفاهُ ذلك ان يكون شاعراً عظيماً فاحتدم غيظ الرضي من ابي العلاء وقال للجماعة اطردوا هذا الاعمى من مجلسي فخرج ابو العلاء من مجلس الشريف ثم سألهُ اصحابهُ فقالوا ان ابا العلاء لم يقل الاّ خيراً فلماذا حنقت عليهِ فقال لهم انكم لا تعلمون ماذا قصد فانهُ قصد من هذه القصيدة البيت الذي يقول

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بانّي كاملُ

وقد تكون هذه الرواية صحيحة وقد تكون موضوعة ولكنها اذا اتخذت دليلاً على احتقار الشريف للمتنبي فهي موضوعة . يدلك على ان الرضي لم يكن ينقص المتنبي وانهُ حفظ من شعرهِ الشيءَ الكثير انهُ كان يتحداهُ في بعض المواطن ويضرب على قوافيهِ وكثيراً ما كان يستعمل الفاظ المتنبي التي علقت في ذهنهِ شأن كل شاعر يتوخى طريقة غيرهِ او يحفظ كلام غيرهِ من الشعراء قال الشريف

كلامي غبار الخيل في كل غارة وثوبي العوالي والحديد المذربُ

وللمتنبي

يريد بك الحسّاد ما الله دافع وسمر العوالي والحديد المذربُ

وللشريف

اذا شئت فارقت الحبيب وبيننا من الشوق ما يملي عليّ واكتبُ

ولابي الطيب

واخلاق كافور اذا شئت مدحهُ وان لم اشأ تملي عليّ واكتبُ

وللشريف

فلا زال ممدوداً عليك ظلالهُ ولا زلت سبغ نعمائهِ تُقلبُ

وللمتنبي

واظن اهل الغلم من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

ولم يكن هذا التوارد اللفظي في الخواطر كثيرًا في شعر الرضي وانما جاء في بعض ابياته مما يدل على انهُ قرأ المتنبي كثيرًا. ورأيت في غضون قراءتي لشعر الشريف قصائد حكمية كثيرة ومنها ما يماثل منظوم المتنبي في المعاني الحكمية وهاك نموذجًا منها

اذا قلَّ مالي قلَّ صحبي وان نما لي من جميع الناس اهل ومرحب
غنى المرء عزٌّ والفقير كأنهُ لدى الناس منهوُّ الملاطين اجربُ
تطالبني نفسي بكل عظيمة ارى دونها جاري دم يتصببُ
ويأمرني الذلاَّن ان لا اطيعها واعلم من طرق العلى اين اذهبُ
ولا علم لي بالغيب الاَّ طليعة من الحزم لا يخفى عليها المغيَّبُ

وهي مثل حكم المتنبي والغالب ان الشريف كان يجيد في الحكم وشكوى الزمان والاخوان اكثر من اجادتهِ في سائر ابواب الشعر فاذا مدح كان يتدىُّ بالحكم ويتوصل بعد ان يكثر منهُ الى مدح الممدوح وسبب ذلك انهُ لم يمدح احدًا طمعًا بمنصب لانهُ كان رفيع المنزلة عزيز الجناب فهو بهذا يختلف عن المتنبي كثيرًا لان المتنبي كان يمدح الامراء استجداء فاذا اخفق مسعاهُ عاد الى الهجاء كما جرى لهُ مع كافور. اما الشريف فكان أعظم قومهِ وكان يترشح للخلافة وكان ابو اسحق الصابي يطمعهُ فيها ويذهب الى ان طالعهُ يدل على ذلك ولهُ في هذا شعر ارسلهُ الى القادر بالله قال فيهِ

عطفًا امير المؤمنين فانما في دوحة العلياء لا تتفرقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ ابدًا اكلانا في المعالي معرقُ
الاَّ الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوقُ

ومن يقول هذا القول ليس في حاجة الى التزلف الى الخليفة او الى غيرهِ. وكانت دارهُ مباءة للعلماء واهل الادب ولم يكن اقل من المتنبي حكمًا وقد يفوقهُ في بعض المواقع ولو قيض لهُ ان يُعنى بديوانه ليشرح شرحًا وافيًا مثل ما شرح ديوان المتنبي لكان الآن مرجع اللغة على العموم. ومعلوم ان المرء يميل بطبعهِ الى قراءة الشعر السهل فان هو رأى ما يتعذر عليهِ فهمهُ تحاماهُ ولم يأبهُ لهُ ولا يخفى ان شعر الشريف بعيد التناول الاَّ على الاديب لما فيهِ من ترامي المعاني وانغلاق المغازي على انهُ لم يأتِ ذلك لضعفهِ في اللغة او عدم مقدرتهِ على التركيب السهل وانما كان ذلك منهُ لانهُ كان يميل الى اتيان المعاني الغائمة

التي لا تدرك الا بعد اعمال الفكرة واعنات الرويَّة . ومن شعره اللطيف الذي يلج الاذان بدون استئذان قولهُ وهو من اوائل شعره

فداؤك نفسي يا من له ... من القلب ربع منيع الجناب
فلولاك ما عاق قلبي الهوى ... وعزٌّ على كل شوق طلابي
اذا ما صددت دعاني الهوى ... فملت الى خدمات العتاب
فيا جنتي ان رماني الزمان ... ويا صاحبي ان جفاني صحابي
دفعت بكفي زماميَ اليك ... وقد كنت ابطي على من حدا بي
فلا تحسبني ذليل القياد ... فاني ابيٌّ على كل آبي

ومن نسيبه قولهُ

اقول وقد اوصلت اول نظرة ... ولم ارَ من اهوى قريباً الى جنبي
لئن كنت اخليت المكان الذي ارى ... فهيهات ان يخلو مكانك من قلبي
وكنت اظن الشوق للبعد وحدهُ ... ولم ادرِ ان الشوق للبعد والقربِ
خلامنك طرفي وامتلامنك خاطري ... كأنك من عيني تقلت الى قلبي

ولهُ من هذا النمط شيءٌ كثيرٌ وكلهُ مما يأخذ بمجامع القلوب ويلعب بالعواطف والنفوس فكأنك وانت تقرأ شعرهُ السهل الممتنع تقرأ شعر شاعر من المعاصرين لا شعراً مضى عليهِ الف عام . وقد لحظت ان الشريف كان يجيد كثيراً في الشعر الخيالي كالغزل والوصف وقلَّ ان يرى في قصائدهِ التي من هذا القبيل امارات التكلف او التعقيد وما ذلك الا لانهُ كان يقول في هذه المعاني ما توحيهِ قريحتهُ فلم يتقيد ولم يضطر الى الاغراب كما كان يفعل في القصائد التي يمدح بها احداً والتي يتوخى ان تنشر وتنشد بين الشعراء والادباء وهذا مما يدلُّ على انهُ اذا لم يعمد الى الاغراب وترك نفسهُ تملي عليهِ ويكتب ما تمليهِ فلا يودع شعرهُ الا في قالب من الالفاظ سهل خالٍ من حوشي الكلام ومعاظلة التراكيب . ثم ان ما كان يحدث لهُ كان يحدث ايضاً للمتنبي فكلاهما متفق من هذه الوجهة . وكان الشريف يتوخى القاء هيبتهِ ورهبتهِ بين شعراء العصر حتى لا يجرأ احد على انتقاد شعرهِ . ومعلوم ان معاصريهِ كانوا من كبار الشعراء وحسبنا ابو العلاء المعري فانهُ كان معاصراً لهُ فلما نال الشريف منزلة عالية بين اهل الادب اجهد نفسهُ في المحافظة على تلك المنزلة فاغرب واغلق في حالات عديدة حتى كسب فوق اعتراف الناس بشاعريتهِ اعترافهم بانهُ حجة اللغة وامام البلاغة

وكان شاعرًا مطبوعًا نظم الشعر وهو في سن الصبا ومن شعره وكان لهُ عشر سنين في ما قيل قولهُ

المجد يعلم ان المجد من ادبي ولو تمادیت في غيّ وفي لعبي
اني ابن عشر ان جمّعوا لعلى تفرقوا عن نبيّ او وصيّ نبي
اذا همست فنش عن شبا[1] همي تجدهُ في مهجات الانجم الشهبِ
وان عزمت فعزمي يستحيل قذًى تدمي مسالكهُ في اعين النوبِ
ومعرك صافحت ايدي الحمام بهِ طلى الرجال على الخرصان من كثبِ[2]
حلّت حياها المنايا في كتائبهِ بالضرب فاجتثّت الاجساد بالقضبِ
تلاقت البيض في الاحشاء فاعتنقت والسمهري من الماذي واليلبِ[3]
بكت على الارض دمعًا من دمائهم فامتعرت من ثغور النور والعشبِ

وقد اجاد في الرثاء واكثر رثائهِ كان في اقربائهِ واهلهِ واصدقائهِ فاذا ابتلي بفقد احد منهم كان يتأثر شديد التأثر فينظم الشعر عفوًا يبعثهُ عليهِ انفعال حقيقي في النفس. ومن بعض مراثيهِ ما نهج فيهِ منهج السهولة واحسنها رثاء ابي اسحاق الصابي الكاتب المشهور ومطلعها

اعلمتَ من حملوا على الاعوادِ أرأيت كيف خبا ضياء النادي

وهذه المرثية مأثورة عن الشريف الرضي وكم من راثٍ جعل مطلعها ديباجة رثائهِ وبدء كلامهِ. وقد برّز في قصائدهِ التخريبة واخصّ منها القصائد التي افتخر فيها باجدادهِ من الامام علي ابن ابي طالب وابنهِ الحسين حتى ابيهِ الطاهر. وكان يحسب ان لا شرف اعظم من الانتماء الى ذلك البيت الطاهر. وكثيرًا ما نظم القوافي في مدح اسلافهِ وخصوصًا في رثاء الحسين ومقتلهِ وذم الجماعات الذين قاموا على الامام علي وعلى اولادهِ. وهذا النهج الذي نهجهُ الرضي في مدح آلهِ اصبح بعدهُ القالب الذي ضرب عليهِ جميع شعراء الشيعة ممن جاؤوا بعدهُ حتى اليوم وكلهم اجادوا في ذلك. وتوخوهُ ايضًا في التغزل بارض الحجاز ومدح اهل البيت ولم يكن شعرهُ بالغًا حد الاعجاز في هذه الموضوعات لما ابقى ذلك الاثر في من اتى بعدهُ من شعراء الشيعة. وكانت قصائدهُ في رثاء الحسين مثال الكمال الشعري وقد اجاد كل الاجادة فيها وكثيرون من الذين يترجمون لمقتل الحسين يحفظون مراثي الرضي وينشدونها. ولقد حذا حذوهُ في رثاء الحسين اكثر الشعراء الذين اتوا بعدهُ ومن بعض شعرهِ في رثائهِ قولهُ

---

(١) على (٢) الخطي الاعتناق والخرصان جمع خرص وهو السنان (٣) الماذي الدروع الليّنة واليلب السلاح كلهُ واليلب والدروع من الحديد

يا يوم عاشوراء كم لك لوعة تترقص الاحشاء من ايقادها
ما عدت الاّ عاد قلبي غلّة حرّى ولو بالغت في ايرادها

وكل قصائده التي من هذا القبيل غاية في حسن الانسجام ومتانة التركيب بل كل ما قالهُ في الرثاء ابدع فيهِ منتهى الابداع لان مقام الرثاء ابعد المقامات عن التنطس وليس فيهِ مجال للاغراب والاتيان بالتراكيب المشوشة ولا يبقي فضلة في القلب للاشتغال بغير مناجاة الخيال . وعثرت في قصائدهِ الرثائية على واحدة يرثي بها بنت سيف الدولة ابي الحسن علي ابن حمدان التي كانت تسمى ثقية مضر وقد انتقلت اليها من الشام وكانت من فضليات النساء في قومها وقيل انها كانت تشغف بشعرهِ فرثاها بقصيدتهِ التي مطلعها

نغالب ثم تغلبنا الليالي وكم يبقى الرّميُّ على النبالِ

وبين هذه القصيدة والتي رثى المتنبي بها والدة سيف الدولة مشابهة في البحر والقافية وبعض المعاني ومطلع الثانية

نصدُّ المشرفية والعوالي ونقتلنا المنون بلا قتالِ

وعلى الجملة فاني ارى ان الشريف الرضي قد ابدع في اواخر ايامهِ اكثر مما ابدع في اوائلها وكان يشوب شعرهُ في اوائلهِ تعقيد كثير وتانق على انهُ خفف من هذا الميل بعد ان اكتهل فصارت اشعارهُ مما يسهل فهمهُ ويقرب مأخذهُ وان من يتصفح ديوانهُ يتبين هذا الفرق بين شعرهِ الاول وشعرهِ الاخير فقد كان يتعمد الاغلاق في مبتدإ نظمهِ على ما يظهر وهذا دأب كل مبتدىء في نظم الشعر فانهُ يتعنى اتمام الالفاظ القرية والايهام حتى ينسب اليهِ بُعد الغور في اللغة والادب على انهُ اذا مضى عليهِ هذا الزمان فينضج فكرهُ ويصبح يعنى بالمعاني دون المباني الاّ ما وجب منها للافصاح عن الفكر باحسن بيان وهذا يشبه ما حدث للمتنبي ولغيرهِ من الشعراء المجيدين

وعلى الجملة فقد كان الشريف الرضي شاعرًا مولدًا لكثير من المعاني حافظًا لشوارد اللغة والفاظها والاكثرون على انهُ من طبقة الشعراء المشهورين مثل البحتري والمتنبي وابي تمام وديوانهُ من كتب الادب ويخلق بكل اديب ان يقرأهُ ويتقصّى ما ورد فيهِ من مبتكرات المعاني ولطائف الاختراع في الشعر وبا حبذا لو انتخل من هذا الديوان الكبير مجموع صغير وشرح شرحًا وافيًا مثل شرح ديوان المتنبي فيسهل فهمهُ ويعم نفعهُ

خليل يعقوب الخوري
دمشق

السرطان

وخلاصة البحث عن سببهِ وعلاجهِ

يعلم قراء المقتطف انهُ تألفت لجنة من كبار العلماء في بلاد الانكليز في اواخر سنة ١٩٠٢ للبحث عن سبب السرطان وعن افضل الطرق لعلاجهِ وجُمعت لها الاموال الوافرة لتمكنها من هذا البحث. وقد اصدرت هذه اللجنة الآن تقريرها الثالث وضمَّنتهُ خلاصة اعمالها وما وصلت اليهِ بعد البحث الدقيق والعناء الشديد ومفادهُ ان سبب السرطان غير معروف حتى الآن وحقيقتهُ غير معروفة ايضاً ولم يكتشف لهُ علاج يمكن استعمالهُ فيشفيهِ او يقي منهُ وخير الوسائل النجاة منهُ حتى الآن نزعهُ بعملية جراحية

نعم ان اللجنة لم تكتشف علاجاً يمكن استعمالهُ لشفاء الانسان من السرطان او لوقايتهِ منهُ ولا عرفت حقيقتهُ ولكنها حققت اموراً كثيرة مما يرجَّح انهُ يوصل الى ذلك وسنبين خلاصة الامور التي حققتها في ما يلي وهي

اولاً ان السرطان كثير الانتشار جداً فقد حققوا ان الذين يموتون في بلاد الانكليز وسنهم ٣٥ سنة فاكثر يكون منهم رجل مصاب بالسرطان من كل احد عشر رجلاً وامرأة مصابة بهِ من كل سبع نساء اي تسع الرجال والنساء يموت بالسرطان فلا تكاد عائلة تخلو منهُ وانما يجتمع عشرة الآف منهم واحد على الاقل مصاب بهِ . ولم يثبت حتى الآن ان هذا الداء آخذ في الازدياد كما زعم البعض ولا ثبت انهُ بين الامم المتمدنة بالتمدن الاوربي اكثر منهُ بين غيرهم من الامم . وقد زعم البعض انهُ نادر في بلاد اليابان ولكن الاحصاءات الحديثة اثبتت انهُ غير نادر بل هو كثير فيها كما في غيرها

ثانياً ان السرطان يصيب كل الحيوانات ذوات الفقار كما يصيب الانسان فلا تسلم منهُ الاسماك كما لا تسلم منهُ الحيوانات العليا حتى الانسان

ثالثاً ان اكثر حدوثهِ في الثلث الاخير من عمر الحيوان سواء كان عمرهُ الطبيعي طويلاً او قصيراً

رابعاً لم يثبت انهُ ينتقل بالعدوى كالامراض المعدية فقد وضعت الوف كثيرة من الفيران المصابة بهِ مع غيرها من الفيران السليمة منهُ في مكان واحد واستمرَّ ذلك ست سنوات متوالية اي نحو ثلاثة اسباع عمر الفار الطبيعي فلم تعدِ السليمة من المصابة

بطلقاً ولم يعدّ احد من اناس الذين كانوا يجرون التجارب فيها . ويقدّر ان في انكلترا وويلس نحو خمسين الفاً من المصابين بالسرطان فلو كان معدياً كالجدري لانتشرت العدوى منهم الى غيرهم وعمّ البلاء لكنهُ ينتقل بالتطعيم اي ليس لهُ ميكروب يمكن تجريدهُ من الجسم الحي ونقلهُ من حيوان الى آخر كميكروب الدل والكوليرا والتيفويد بل لهُ ميكروب يبقى عالقاً بالجسم الذي هو فيهِ فاذا قطعت قطعة من ذلك الجسم اي من الورم السرطاني وطُعّم بها حيوان آخر اي زرعت في جسمهِ غت فيهِ وأُصيب بالسرطان . اما الناس الذين يظهر السرطان فيهم فلا يكون تولّدهُ فيهم بالعدوى وكذلك الحيوانات التي يظهر فيها من تلقاء نفسها لا يكون ظهورهُ بالعدوى بل يتولّد في الحالين تولّداً على ما يظهر

خامساً ان انتقال السرطان بالتطعيم يكون على هذه الصورة : — اذا قطعت قطعة من ورم سرطاني في فارة وطُعّمت بها فارة اخرى فبعض حويصلات تلك القطعة يغمو وبعضها يموت فالحويصلات التي تنمو هي الحويصلات السرطانية والتي تموت هي الحامل لها . والحويصلات التي تنمو تولّد ورماً سرطانياً في الفارة الثانية فاذا قطعت منهُ قطعة وطُعّمت بها فارة ثالثة اصابها ما اصاب الثانية اي ماتت الحويصلات الحاملة وغت الحويصلات المحمولة المتولدة من الحويصلات السرطانية . وتختلف الحويصلات الحاملة باختلاف الاورام السرطانية اما الحويصلات السرطانية نفسها فلا تختلف على ما يظهر ولكنها لا تستطيع ان تعيش من غير الحويصلات الحاملة لها

سادساً . ان السرطان لا ينتقل من حيوان الى آخر من غير نوعهِ فلا ينتقل من الفار الى الجرذ ولا من الجرذ الى الفار بل ينتقل من الفار الى الفار ومن الجرذ الى الجرذ

سابعاً ان نسبة الورم السرطاني الى ميكروب السرطان او الى الحويصلات السرطانية كنسبة الشجة الى الجنين اي ان الورم يغذي الحويصلات السرطانية لا غير

ثانياً ان الاورام السرطانية المختلفة لا يستحيل بعضها الى بعض كأنّ الحويصلات السرطانية لا تولّد الاّ نوعها

تاسعاً ان صغار الحيوانات اقبل من كبارها لان تتطعّم بالسرطان مع ان السرطان يظهر من تلقاء نفسهِ في الكبار اكثر مما يظهر في الصغار . ونريد بالصغر والكبر هنا السن لا الجسم

عاشراً اذا اختلفت نوعات النوع الواحد من الحيوان عسر على الحويصلات السرطانية ان تنتقل من نوع الى آخر في اول الامر ثم يسهل عليها ذلك بعد حين فقد طعموا فيراناً انكليزية بمادة سرطانية من فيران دنماركية فلم يُصب منها بالسرطان في اول مرة الاّ خمسة

في المئة ثم نقلت المادة السرطانية من هذه الى غيرها من الفيران الانكليزية فزاد فعلها رويدًا رويدًا واخيرًا صار السرطان يظهر في ٩٠ في المئة من الفيران المطعمة كأن في جسم الحيوان شيئًا يمنع بعض الدقائق السرطانية من النمو فيهِ ولا يمنع البعض الآخر فتزول الاولى وتنمو الثانية وتتكاثر وتستأثر بالحيوان

حادي عشر انهُ يمكن جعل الجسم غير قابل لنمو الحويصلات السرطانية وذلك بان يطعم الحيوان بمادة سرطانية مأخوذة من حيوان اخر مثلهُ مصاب بالسرطان عند اول ظهورهِ او بنسيج سليم من حيوان سليم . وتشتد الوقاية في الحالة الثانية اذا قابل العضوان كما اذا طُعم ثدي فارة سليمة بمادة من ثدي فارة اخرى سليم او مصاب بالسرطان في اول ظهورهِ . وما يصدق على الفارة يصدق على الجرذ ولكن الفارة لا تقي الجرذ والجرذ لا يقي الفارة . والمادة السرطانية المأخوذة من السرطان الجلدي مثلاً تقي من غير السرطان الجلدي ايضاً ولكن وقايتها من السرطان الجلدي اتم وقس على ذلك بقية انواع السرطان . وقد ظهر ان بعض انواع السرطان متشابه وبعضها متخالف فالمتشابه يقي بعضهُ من بعض والمتخالف لا يقي او ان وقايتهُ قليلة

ثاني عشر ان الحيوانات التي لا تُعدّى بالسرطان لا يخرج منها مصل يقي منهُ او يشفي منهُ . ولا يوجد حتى الآن مصل يشفي من السرطان بعد ظهورهِ ونموهِ . والام التي لا تعدى بالسرطان لا تنتقل المناعة منها الى نسلها كما يحدث في الدفتيريا فالوقاية من السرطان المشار اليها آنفاً خاصةٌ بهِ ولا مثيل لها في غيرهِ من الامراض المعدية . والظاهر ان الحيوان الذي يوقى من السرطان لا يعود جسمهُ قادرًا على تقديم الحويصلات اللازمة لنمو حويصلات السرطان فتموت تلك الحويصلات لقلة الغذاء او تضعف وتفترسها خلايا الجسم المعروفة بالفوغوسيت التي تفترس الاجسام الغريبة والميكروبات المرضية وتحمي الجسم منها . ولا يعلم كيف تتم هذه الوقاية في الجسم كلهِ ولكن ما تقدم يفسر لنا كيف يشفي السرطان لذاتهِ احياناً ويدعو الى الامل بالوصول الى طريقة لعلاجهِ وشفائهِ او لوقاية الجسم منهُ

ثالث عشر انهُ يمكن جعل الجسم شديد القبول للسرطان كما يمكن جعلهُ غير قابل لهُ فاذا نما فيهِ ورم سرطاني سهل نمو ورم آخر سرطاني آخر فيهِ . ولذلك لا يسهل ان يوقى حيوان ظهر السرطان فيهِ كما يسهل ان يوقى حيوان لم يظهر السرطان فيهِ

هذه اهم الامور التي رأينا فائدة من اقتطافها لقراء المقتطف وهي تدلُّ على ان البحث عن حقيقة السرطان وعلاجهِ لم يزل في دائرة الامتحان ولم يخرج الى دائرة العمل حتى الآن والظاهر ان العلماء المشتغلين بهذه المباحث قد امتحنوا كل العلاجات التي وصفت للسرطان

لم يجدوا لها نفعاً حقيقياً ولكنهم وجدوا امراً لا يستطيعون انكارهُ وهو ان السرطان يشفى احياناً لذاته فان كانت حوادث الشفاء المنسوبة الى بعض العلاجات المجرَّبة صحيحة وتلك العلاجات لا تفيد دائماً الفائدة المنسوبة اليها فذلك يشير الى ان الشفاء حدث في الحالين من سبب آخر ولعلهُ فعل نفساني يقوي دفائق الجسم على التخلص من دقائق الداء

اما ما قيل من فائدة التطعيم فهو السبيل العلمي المفتوح الآن لاكتشاف طريقة لمعالجة السرطان ولا يبعد ان يصل العلماء بهِ الى الغاية المطلوبة في هذه السنة او التي تليها لان دائرة البحث قد ضاقت واتَّجهت الى هذه الجهة . وتبقى الصعوبة في امتحان التطعيم الواقي في الناس فانا لا نظن ان احداً يسلِّم بان يُطعَّم بمادة سرطانية على امل انها تقيهِ من السرطان بعد ذلك كما توقى القارة بالتطعيم ولا من يجيز ذلك لان التطعيم قد يعدي الانسان ولا يقيهِ . ولا وجه للتطعيم بمادة غير سرطانية حيث لا دليل على احتمال تولُّد السرطان . ولكن يُحتمل ان يتطوع احد الاطباء المعتقدين صحة التطعيم لامتحان التطعيم فيهِ ومتى ثبت ان التطعيم قد وقاهُ من السرطان اي لم يعد السرطان يظهر فيهِ ولو طُعم بهِ يقتدي بهِ غيرهُ من الذين ثبتت لهم فائدة التطعيم الى ان يشيع ويصير الناس يقدمون عليهِ من انفسهم كما يقدمون الآن على التطعيم الواقي من الجدري . ويحتمل ايضاً ان تبيح الحكومات امتحان التطعيم الواقي من السرطان في المحكوم عليهم بالقتل . والاحتمالان بعيدان واقرب منهما ان تكتشف طريقة لشفاء السرطان بالتطعيم بعد ظهورهِ كما تشفى الدفتيريا ولا صعوبة حينئذٍ في الامتحان

واننا نرى في المباحث العلميَّة امراً غريباً تختصر بهِ الطرق الطويلة الشاقة فانك تجد جمهوراً كبيراً من العلماء يبحث في جهة واحدة ويحقق ويدقق كأنهُ قصر نظرهُ عليها دون سواها وتصد ان يستقصيها الى آخرها واذا بعالِم آخر او عويلم قام في جهة اخرى واكتشف امراً جديداً لم يكن في الحسبان او انتبه الى حقيقة لديهِ اغفى عنها غيرهُ من العلماء فوصل بها الى الغرض المطلوب من اقصر سبيل كما فعل مورس في اختراعهِ التلغراف المنسوب اليهِ وكما فعل مركوني في اكتشافهِ التلغراف الذي لا سلك لهُ . وعسى ان يوفق الناس الى اكتشاف الدواء الشافي او الواقي من هذا الداء الوبيل سواء كان بالبحث والتقصي او بالعثور والاتفاق

افتتاح الجامعة المصرية

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان من افتتاح الجامعة المصرية ووعدنا بنشر بعض الخطب التي تليت حينئذٍ لانها تدلُّ على منهاج التدريس فيها

خطبة عبد الخالق باشا ثروت احد اعضاء مجلس الادارة

قال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي

ان تاريخ الجامعة المصرية لصحيفة من صحف مآثركم الجليلة بل هو لسان صدق ينطق بما في نفسكم الشريفة من الميل العظيم لرقي البلاد واسعادها

وان نهوض الامة الى احياء العلم لوحي تلقتهُ عن ارادتك العالية. فلا غرو ان أخذت حركة العناية بنشر التعليم تنمو وتزداد الى ان عمت جميع الطبقات واقبل الناس اقبالاً محمودًا على انشاء دور العلم وتسابقوا الى تشييدها

الاَّ ان الامة المصرية لم تقف بها عند هذا الحد رغبتها في بلوغ الدرجة المبتغاة لها بين الامم الراقية بل تطلعت الى ما هو اسمى من ذلك من درجات التعليم

نظرت فاذا التربية العملية في مصر الآن لا تزال ترمي الى اعداد ناشئة تقوم بحاجات البلاد وتخريج شبيبة يشتغل كل منها في فنهِ وصناعتهِ وان دائرة التعليم قد قصرت لذلك على القدر الضروري للوصول الى هذه الغاية فخلت البلاد من منهل علمي يستقي منهُ طلاب المزيد عن هذا القدر

رأت ان حاجة الامة الآن الى علماء راسخين في العلم ليست بأقل من حاجتها في الازمان السابقة الى متعلمين عاملين وانهُ قد حان الوقت لتخريج شبيبة تأخذ بيد الامة فتحلها المقام الذي يجب ان يكون لها بين الامم الراقية ذلك المقام الذي لن تناله الاَّ اذا اقبل ابناؤها على العلم حبًّا في العلم ولم يقتصروا منهُ على ما يستفتحون بهِ ابواب الكسب والارتزاق

رأت ان العلماء في البلاد الاخرى يكادون يأتون في كل فرع من فروع العلم بالعجزات فكم من مبتكرات مخالها خلقًا سماويًّا جديدًا جاءنا خبرها من اوربا وغيرها ونحن نكتفي من ذلك البحر الزاخر بغمة الوشل ! وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات فتح الله بها على اولئك العلماء وحظنا منها حظ المتفرج !

رأت انهُ من النقص ان تبقى مصر عالة على الامم بعد ان كانت تغذيها بالعلم والعرفان وان تظل في مثل هذا العصر خلوًا من جامعة تسوغ لها طائفة تجد ذكرها كما كان ذكرها تجدًا في ماضي الايام والعصور الخالية

رأت كل ذلك وحق لها ان تراهُ وتقديرهُ . فلا جرم ان قامت قومة واحدة تدعو الى انشاء تلك الجامعة

فولَّت وجهها بادئ الرأي شطر الحكومة ونظرت في المسألة من وجهة الواجب عليها فرأت ان الحكومات في جميع بلاد الدنيا لا تستطيع وحدها النهوض بالامة من طريق التعليم وانهُ ليس من امة فقهت الى مثل ما فقهت اليهِ الامة المصرية من الحاجة العليَّة الاَّ واخذت بيد حكومتها في هذا السبيل وان الفضل في ترقية التعليم في البلاد الاخرى يرجع اكثرهُ الى جمعيات امست دورًا للعلم وتكفلت في اداراتها وانتصرت مهمة الحكومة فيها على تمهيدها ومساعدتها بقدر الامكان

فلما احست الامة بما هو واجب عليها بازاء هذا المشروع توجهت عنايتها الى الحث عليهِ وتحقيق الغرض منهُ وهنالك انقسم الناس الى مطير يخاف على المصريين ان يقدموا على هذا المشروع فيحبط عملهم فينالهم من العار ما كانوا في غنًى عنهُ . وستبشر يرى في يسر الحال وهمة المصريين وأريحية شمائلهم ما يحمل على الاعتقاد بان عملهم سيكلَّل بالفوز ويتوج بالنجاح

ولقد دل الواقع على ان المصريين والحمد لله اهل لهذا الجد المحمود فقد تبرَّعوا ولم يتثبطهم عن العطاء شدة نزلت بالبلاد فاستحقوا لهذه الاريحية عطف كل محب لترقية العلوم والمعارف

بيد ان ما جمع من تلك العطايا المشكورة ما كان يكفي وحدهُ لابراز هذا العمل الكبير من ظلمة الفكر الى نور الوجود

هنالك يا مولاي هبت على الجامعة وهي وليدة لا تعلم حياتها من موتها هبت عليها نفحة مباركة من لطفائك السامية . فدبت فيها روح الحياة فكان لا بد من ان تخطو وتدرج

تفضلت حفظك الله فتقبلت ان تكون الجامعة تحت رعايتك العالية وشرفتها برئاسة الامير ولي عهدك الكريم رئاسة شرف وبرئاسة صاحب الدولة عمك الامير الجليل احمد فؤاد باشا رئاسة فعلية وامرت رعاك الله فجريت عليها اعانة سنوية

بفضل تلك الرعاية السامية وفي ظلها الوارف تكونت الجامعة ووضع دستورها واخذت لجنة ادارتها في البحث عن اقرب الطرق لاظهارها في الوجود وادخالها في طور العمل

ولما كان من الضروري ان يكون التدريس فيها باللغة العربية عولت البعثة على ان تبعث برساليات الى البلاد الاوربيَّة حتى اذا ما اتم اعضاؤها دروسهم واستقصوا العلوم التي انقطعوا لها هناك عادوا وقاموا بالتدريس باللغة العربية كلٌّ في عملهِ الذي اختص بهِ

وقد اوفدت الجامعة لهذا القصد الشريف في اوائل الصيف الماضي جماعة من خيرة النابغين من الشبيبة المصرية وهم الآن مقترنون في ربوع تلك الاقطار المتنائية لتحصيل العلم العالي وادخاره ليوم رجوعهم الى مصر فيبرُّونها بعلمهم وتعليمهم كما برَّتهم بعنايتها بتربيتهم ويكونون عدتنا واساطين جامعتنا في نيل امانينا

ولما كان تحقيق هذا المقصد يستلزم زمناً طويلاً لتحصيلاً بالفائدة تقرر ان يقوم من الآن بعض العلماء بتدريس بعض العلوم التي لم تنل الى الآن في مصر حظًّا وافرًا من العناية مع ما لها من الاهمية والاثر الحسن في ترقية المدارك وانارة البصائر

ولما كان من المحقق ان جميع الامم عند ما تأخذ باسباب النهضة لا مندوحة لها عن محاكاة الشعوب التي اصابت اوفر قسط من الحضارة الراقية وكان الاخذ عن امة من الامم يوجب الوقوف على اساليبها ودرجة تصورها وكيفيَّة تدرجها في ترقيها فقد اختارت الجامعة ان تمشي مع ذلك الناموس الطبيعي بتلقين الطلاب فنون الاديبات عن الامتين الكبيرتين اللتين انتشرت لغتهما بين المصريين انتشارًا كبيرًا فقرَّرت تدريس علوم الاديبات عند الفرنسويين وعند الانكليز كذلك رأت من اول الواجبات عليها ان يكون في مقدمة ما يدرس في جامعة مصريَّة تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية تلك الحضارة التي لا يزال اهل الفضل من كل الامم الراقية يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام . ومن اولى من المصريين بالوقوف على حقائق هاتين الحضارتين لتحقيق نهضتهم الحالية واسترجاع ما كان لاسلافهم من مجد عظيم ومقام كريم

وها نحن أولاء نحتفل اليوم باول خطوة تخطوها الامة المصريَّة لترقي الى مستوى الامم الناهضة . نحتفل بوضع اول درجة من سلم العروج الى اوج العزة والفخار

فاليك يا سيد البلاد وأميرها ترفع الجامعة فروض الشكر والثناء على ما اوليتها من اهم حققت بها آمال المستبشرين وأثنت بها روح المتطيرين الخائفين

وان كل محب لخير بلاده ليحفظ لك في سويداء فؤاده ذكرى تشريفك هذا الاحتفال متوجًا لمساعيك السابقة باعلان رضائك السامي عنها وتتلك الله لتحقيق ما ترجوهُ لامتك من الخير والسعادة وأتم نعمهُ عليك من التوفيق والسداد

خطبة احمد زكي بك احد اعضاء مجلس الادارة وسكرتير الجامعة

مولاي

يلاذ بك مهد الحضارة والعرفان

لذلك كان حقًّا على الجامعة المصرية ان تستنجح بتوجيه الانظار الى مفاخرها في قديم الزمان والى مآثرها في دولة الاسلام : تمهيدًا لما ترتجيه من النجاح في خدمة هذه البلاد وفي اعادة العلوم الى لسان العرب الذي وعاها واستوعبها في ايام هارون والمأمون

تلك الامنية العالية ستحتقق للجامعة بفضل الله لانها مرموقة بعناية العباس

***

ازهرت الحضارة على ضفاف النيل الغناء وايتعت ثمراتها في عهد الفراعنة الاقدمين وها هي بقايا آثارهم تحدثنا بما بلغوه من المكانة العليا في تحصيل المعارف والاجادة في كل انواع الفنون والصنائع . ولا يزال اهل البحث والاستقراء يكشفون لنا في كل يوم من خفايا علومهم ومخزون اسرارهم ما يقضي بالعجب العجاب ويشهد لهم بالاسبقية والرجحان

انتقلت الحضارة الى الاسكندرية في عهد البطالسة فكانت دار العلم والتعليم وحفظت لبلادنا في سجل التاريخ تلك المزية التي تفردت بها مصر في العالم القديم . وكللتها بتاج من الفخار ما زال بهاؤه ساطعًا رغمًا عن تصاريف الزمان وعبث الايام

جاء الدور للاسلام . فرفع رايته على المشارق والمغارب . واخرج من بطون الرمال الذهبية مدينة القاهرة التي قامت على الرطيبة وسنف وعين شمس وصارت كعبة للعلم ومنهلاً يتزاحم عليه طلاب الفضل وعشاق المعالي

***

كما كانت الثغور تسابق مملكة الفراعنة في احراز السيادة السياسية وتوسيع دائرة المعلومات البشرية كذلك ظلت باسم العراق تجاري وادي النيل في هذا المضمار عند ما اشرقت عليها سنا انوار الاسلام . ولقد بلغت المناظرة الادبية والمزاحمة العلمية بين القاهرة وبغداد حدًّا يقضي بالدهشة والاستغراب . اذ كانتا تخاطفان اهل العلم وكتب العلم استئثارًا بالفضل واهل الفضل . حتى ان ابناء العراق اوفدوا رجلاً اتفق مع احد علماء مصر فاشترى منه عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب العربية وهي ثلث مجموعته . واتصل الخبر بوزير مصر الافضل فقام وقعد واستكبر هذا الخطب واستنكره . وقال : كيف تحرم مصر من ذخائرها واعلاقها وكيف ترضى بتجريدها من حللها وحليها وهل يسمح انتقال كنوزها الى غيرها

ونحن احق بها واهلها اعرف الناس بقدرها ؟ تالله هذا لا يكون ابدًا . ثم بعث من ماله الخاص الى العالم المصري بجملة الثمن الذي ساومهُ عليهِ رسول العراق ونقل الكتب الى خزائنهِ وكتب عليها القابهُ

امة هذه عناية فرد من عظمائها وتلك غيرة واحد من رؤومها لا يبعد عليها ان يكون في دار خلافتها مكتبة جامعة عدها اهل الدراية من عجائب الدنيا . وقالوا انهُ لم يكن في بلاد الاسلام اعظم منها . وغير الاسلام في ذلك الوقت لم يكن شيئًا مذكورًا . بلغ عدد المجلدات في هذه المكتبة النادرة ٦٠٠٠٠٠ مجلد وقد ضاعف بعضهم المليون فجعلهُ اثنين . وكانت تحوي ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري البغدادي منها واحدة بخط المؤلف . وكان فيها ٦٥٠٠ جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة و ١٨٠٠٠ كتاب في علوم الاقدمين . فضلاً عن كرة من النحاس تمثل السماء بكواكبها من عمل بطليوس القالوذي صاحب المجسطي واخرى من فضة صنعها عبد الرحمن الصوفي الفلكي المشهور للملك عضد الدولة البويهي . وهذه الكرة من ذخائر بغداد التي استحوذت عليها مصر كما استأثرت ايضاً بجيازة تاريخ الرسل والملوك الذي كتبهُ الطبري بخط يدهِ . فهل يكون من العجب اذا قلت ان الخليفة الفاطمي كان يكثر من التردد على مثل هذه المكتبة البديعة ليجيء اليها راكبًا ثم يترجل عندها ويجلس على دكة مخصوصة فينظر في كتب العلم ويستعير منها ما يستفيد منهُ . وكان من تقاليدهِ انهُ بعد فراغهِ من المطالعة يدخل اليها ويمشي فيها لتشجيع الطلبة بالمخالطة وحضهم على الاتقان بالمجالسة والمؤانسة

تلك ايام قد خلت

ولكن التاريخ ما زال يعيد نفسهُ على الدوام . ولذلك ترجو الجامعة المصرية ان تعيد هذه الايام كرة أخرى . وما ذلك على الله بعزيز

***

هذا كان شأن الشرق من حضارة الاسلام . ولكن الغرب لم يكن اقل منهُ حظًا . فلقد قضت نواميس العمران ان الحضارة تتولد وتنمو على شواطىء البحار وخصوصاً على مجاري الانهار . فكما كان لها شأن كبير في ايام الاقدمين والاسلاميين على ضفاف النيل ودجلة والفرات كذلك كان للحضارة الاسلامية اثر مشكور على شواطىء الوادي الكبير فلقد كانت قرطبة قاعدة الاندلس عروساً في بلاد الغرب ومنبعًا للعلم والفضل حتى افاضت على ديار اوربا تلك الاشعة الاولى من علوم الاسلام . اشعة استنارت بها في ابان نهضتها اثناء

القرون الوسطى وكانت كمقدمة تمهيدية لما وصلت اليه الآن عما سيّر الغرب مشرقاً لنور العلم والتمدن في هذه الايام

ماذا اقول عن قرطبة وقد اطبق العارفون على انها كانت اكثر بلاد الدنيا كتباً ؟ أوَ لم يأتكم حديث الفيلسوفين ابن رشد وابن زهر حينما تناظرا بحضرة المنصور يعقوب ملك المغرب في المفاضلة بينها وبين اشبيلية ؟ قال ابن رشد لصاحبه وهو يحاوره : "ما ادري ما تقول . فغير الله اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها . وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية"

وفي هذا المقام لا ارى مندوحة عن التذكير بان الاسلام لم يكن خلواً من الجامعات فقد اشتهرت بغداد بكثرتها وان كان لها نظام غير المألوف الآن . واشهرها المدرسة النظامية فقد تحدى بها اهل العراق صنيع المصريين الذين سبقوهم بتأسيس الازهر المعمور . غير ان القاهرة لا تزال تفتخر به الى الآن . وكذلك كان في البلاد الاخرى التي بسط الاسلام ظلها رايتهُ حيناً من الدهر جامعات اخرى مثل التي كانت في بلرم صاحبة صقيلية وفي القيروان بتونس وفي معظم مدائن الاندلس . بل قد اوجدها في غير البلاد التي دانت لسلطانه فان فرنسا مدينة للعرب بتأسيس وانجاح احد معاهدها العلمية الكبيرة . واعني به مدرسة الطب في مونپلييه . هذه المدرسة التي لا تزال زاهرة يانعة الى الآن مع ان الجامعات الاسلامية قد دخلت في خبر كان . اهم فان عرب الاندلس ويهودها هم الذين ادخلوا التعليم الطبي اليها وقد استمر فيها مدة اربعة قرون تقريباً برياسة تآليف ابن سينا وابن رشد وقسطا بن لوقا وحنين وابنه اسحاق وابن ماسويه والرازي حتى كانت سنة ١٥٢٦ للميلاد فاستبدل القوم اساتذة المشرق بالمعلمين اليونانيين عند ما عثروا على تصانيفهم الاصلية التي اهتدى العرب بتراجمها

وهذه مصر حينما شرعت في اعادة العلوم الى حظيرتها اوفدت عدداً كبيراً من ابنائها لاغتراف العلم في مونپلييه من ذلك المعهد الذي يعود فخاره الحقيقي الى اجدادنا الكرام . وها هي اليوم تستقدم الاساتذة من انكلترة وايطاليا ومن غيرها من البلدان التي امتازت بالعلم والفضل

والايام دول ونواميس الكون اخذ وعطا

***

نرجع للاندلس ونقول ان اهلها قاطبة قد توفروا على العلم لذاته والذاته . لا فرق في

ذلك بين الغني والفقير والمملوك والامير . بل كانوا كلهم سواسية في التهافت عليه وعلى اقتناء الكتب لا للافتخار ولكن للمذاكرة والمحاضرة . ولم يكن هذا الولع قاصرًا على عامة الناس بل شاركهم فيه ملوكهم ايضًا . فان الخليفة الحكم جمع لنفسه مكتبة خصوصية احتوت على ٤٠٠٠٠٠ مجلد كلها من النفائس والغرر . هذا عدا المكاتب العمومية الحافلة التي ازدانت بها قرطبة وغرناطة وأمهات المدائن بالاندلس

فاذا رجعنا ادراجنا الى بلاد الشرق رأينا للاسلام في بلاد الشام هذا الاثر المحمود ايضًا . وحسبي ان اشير الى المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار فانها بلغت ٣٠٠٠٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار . كما ابادت النار مكتبة القاهرة وكما دمر التتر مكاتب بغداد التي كانت فوق الوصف والتعريف وفاقت كل ما سبقت الاشارة اليه . احرق هؤلاء المدج تلك الجامع الثمينة وخلطوا كثيرًا منها بالطين والماء واستخدموا هذه المجينة الغريبة في بناء جسر (كوبري) للمرور على نهر دجلة

تلك ايام قد خلت

فهل تعود للجزيرة بهجتها السابقة وحضارتها الفائقة

هذا ما نتناهُ من صميم الفؤاد خصوصًا وقد اخذت اسباب الاصلاح والعمار تتراجع الى ما بين النهرين في هذه الايام

***

بماذا تقدم الاسلام

بالرحلة في طلب العلم وتقييد اوابده ونشر فوائده

لقد كان المسلم رهين الاسفار كما هو شأن الامم الراقية الآن . كان المسلم كلما فارق ديارهُ ولو على سبيل الكسب والتجارة فكأنما هو موكل بالاكتشاف والاستطلاع يحمل الى ما يزورهُ من البلدان بضاعتهُ المادية ومعها بضاعة اخرى غير مزجاة : بضاعة مضمون لها الرواج واعني بها ما وصل اليهِ من حقائق العلوم وطرائف الآداب . وكان لا يغفل عن ان يسجل في صحائف اسفارهِ ما يعثر بهِ من ثمرات رقي القوم . حتى اذا انقلب الى اهلهِ كان قد افاد واستفاد ونفع وانتفع وعلم وتعلَّم . وهذه فوائد الفئة العربية في ألسنة الامم المتمدنة شاهدة بما كان للمسلمين من الاثر الجيد في بلاد الامم الاخرى كما ان في الكتب والعلوم التي ابقتها

لنا تصاريف الايام من تراث اجدادنا الكرام كثيرًا من الاصطلاحات الاجنبية الدالة على رواج سوق المعارضات العلمية وعلى ان اهل الشرق والبعيدي الانظار لا يستكفون من تبادل الثمرات التي يصلون اليها من طريق البحث والدرس

اما الآن وقد تعددت الصلات بين الشرق والغرب وسهل تناول الفوائد العلمية بفضل البخار والكهرباء فستكون جامعتنا ان شاء الله كحلقة اتصال بين العالمين حتى نأخذ بلا استكبار ما تلقفهُ الفرنج عن اجدادنا ونضيف الى سلسلة معارفنا حلقات جديدة لم يعرفوها وقد جاد بها الزمان على ما تقتضي به نواميس الارتقاء .

هذه هي ايها السادة بعض الاسباب التي دعت هذه الجامعة الى الابتداء بالابتداء فقررت تدريس الحضارات الاسلامية والقديمة وأضافت اليها ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا

***

نعم ان الشرق عاد بعد تلك الحركة الهائلة الى سبات عميق فنزل الى الحضيض . وبعد ان وقف في مكانهِ ساكنًا جامدًا اخذ الآن يتنبه ويتحرك حركة خفيفة . فابصر المعارف قد ترقت في بلاد الغرب الى درجة تتضاءل دونها القوى والافهام . احست امم الشرق بما يتهددها من خطر الجمود والوقوف واصبحت كلها وهي شاعرة بالحاجة الماسة الى تلقي ثمرات العلوم التي وصلت اليها اوربا وتمثيلها بما يوافق طبيعتها ومزاجها . فكانت اليابان في الشرق الاقصى اول من نفض غبار الكسل والخمول ووصلت في نصف قرن الى درجة الامم الراقية بل بذَّت كثيرًا منها . وها هي الامة المصرية في الشرق الادنى قد ادركت ايضًا هذه الحاجة فهبت عن بكرة ابيها وتعاون ابناؤها لاحراز الفخار بالسعي سعيًا لاعادة القطر الى مجدهِ السابق . فاسست الجامعة المصرية التي ستعمل على ارجاع اللغة العربية الى مقامها المجيد في ميدان العلم وفي حلبة الامم

كيف لا تتوصل الجامعة المصرية لتحقيق هذه الغاية الكبيرة وقد هبت عليها نفحة من نفحات مولانا العباس : نفحة تشعر لمصر وللاسلام عودة تلك الايام الزواهر التي ازدان بها عصر بني العباس

فبعهد الخديوي عباس تفتح الجامعة ابوابها للناس

مستقبل البلاد العثمانية

من خطبة لعزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم معارف السودان القاها في الخرطوم ليلة الاحتفال بافتتاح مجلس المبعوثان العثماني في ٧ دسمبر الماضي

ابناء وطني الكرام

اسمحوا لي اول كل شيء ان اشكر لكم حسن ظنكم بي لانتخابكم اياي لارئس هذا الاجتماع لان كلاً منكم احق بالرئاسة مني . فان دعوتكم هذه التي اسعدني الحظ بتلبيتها صيرتني مسرورًا مضاعفاً . مسرورًا بالغاية التي اجتمعنا من اجلها واشركتني معكم في الاجتماع ومسرورًا لانها ضمتني وفريقاً كبيرًا من خيرة اخواني الذين مكنتهم احوالهم الخصوصية وعلاقاتهم العائلية والمادية ان يهجروا البلاد السورية العثمانية كما هجرتها انا إما فرارًا من الجور في زمن السلف والاستبداد او سعيًا وراء الرزق وقد ضاق فيها على كل عزيز نفس يأبى ان يعيش متملقاً لحاكم مستبد او خادماً لاغراض ذي نفوذ ديني او سياسي يأمر بأمره ويميل حسب اميالهِ مع علمهِ انها اميال نفسانية او اغراض ذاتية مضرًا ان يوالي من لا يريد موالاتهُ وان يعادي من لا يريد معاداتهُ يصبح بالذي امسى فيهِ مكتئبًا مغلول اليدين ولسان حالهِ يردد ما قالهُ ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى عدوًّا لهُ ما من صداقتهِ بدُّ
يروح ويغدو كارهًا لوصالهِ وتضطرهُ الايام والزمن النكدُ

فعواطفهم جواشني والحرّ الذي يتجرعهُ في غربتهم مما صارت اليهِ بلادهم اتجرعهُ معهم ومضض العيش الذي يصبرون عليهِ انا فيهِ صابر عليهِ صبرهم من جميع وجوههِ المختلفة شكلاً والمتفقة معنًى . والغريب في بلاد اذا كان في ضيق يعطف على الغريب نظيرهُ الواقع في ضيق من نوع ضيقهِ ويسرُّ باجتماعهِ معهُ ليكون واياهُ في الشدة اخوانًا وعلى تفريجها اعوانًا مهما اختلفت مشاربهما فكيف بهِ اذا لقي ابن وطنهِ وكانت بلواهُ انس بلواهُ وشكواهُ نفس شكواهُ وكان اجتماعهُ بهِ وداعًا لضيق مرَّ وكان امرّ من الصاب واستقبالاً لسعادة باتت على الابواب . هذا هو شعوري وهذه هي احساساتي وقد ضمتني هذه الحفلة معكم

وغايتنا من اجتماعنا في هذه الحفلة ايها الاخوان ان نحيي ليلة انس نفرح فيها في غربتنا بما نالتهُ امتنا من النعمة والهناء بعد ان قضينا دهرًا طويلاً والصدور منقبضة والحزن مخيم على النفوس لا ينقضي نحس حتى تليهِ نحوس — قد اجتمعنا لنشترك مع باقي اخواننا العثمانيين

في جميع انحاء السلطنة العثمانية وغيرها حيث العثمانيون مقيمون في الاحتفال بافتتاح مجلس المبعوثان عنوان مجد الامة واساس تقدمها وفخرها او بعبارة اخرى بانتقال السلطنة من حكومة مطلقة استبدادية لا شأن للامة في تدبير شؤونها الى حكومة شورويّة دستورية تديرها فئة من الامة تنوب عنها فتسن قوانينها وتنظم شرائعها بحسب الزمان والمكان وتضع للحاكم حدًّا لا يتعداهُ فهو يسير حسب ارادتها ولا تسير هي حسب اهوائهِ وهو خاضع لمشيئتها وليست هي خاضعة لمشيئتهِ فلا يستطيع ان يظلمها ليزيد في تنعمهِ ولا ان يفقرها ليزيد في غناهُ ويتمتع بكل ما تشتهيهِ نفسهُ ولا يقيّد افكارها ويكمّ افواهها كي لا يعارَض في شيءٍ يريدهُ او اصرارٍ يأتيهِ

اذا اكثرت من الضرب على هذه النغمة او اطلت الكلام اكثر مما يحتملهُ المقام فلاعتقادي ان هذا الحديث مما لا تملهُ الصدور رغمًا عن قصور المتكلم وسوء تعبيرهِ فانهُ منذ ٢٤ يوليو وهو اليوم الذي بُعثت فيهِ الحياة في جسم السلطنة العثمانية والخطباء مثات والوفًا يخطبون في اجتماعاتهم الخصوصية والعمومية في كل انحاء السلطنة العثمانية والكتبة يكتبون في نشرات خصوصية وعلى صفحات الجرائد العربية والاعجمية ولا يزالون حتى الساعة على هذا المنوال . والمشاهد انهُ لا يكتب كلمة في موضوع الحرية والدستور والمزايا التي اكتسبتها الامة في الحصول عليهِ الاَّ وجدت من النفوس ارتياحًا كانها السحر الحلال — ولا يعقد اجتماع في هذا العدد الاَّ ويكون لهُ من العثمانيين على اختلاف نحلهم ومللهم كل اقبال

والعجيب انهُ ظهر في القوم من الخطباء والكتبة والشعراء ما لم يكن يحلم بوجودهِ قبل ان أُطلق اعلان الدستور الالسنة والاقلام من عقالها . ولا شك انهُ سيظهر الاداري والمالي والسياسي والمهندس والقائد والمخترع والفيلسوف وقد افسح المجال للكل في ميدان التقدم والعمران — والامل انهُ لا يمضي ربع هذا القرن حتى تصبح الدولة العثمانية من الدول العظام تفتخر بادارة داخليتها وماليتها وحربيتها وبحريتها وزراعتها وصناعتها وتجارتها وتهاب سطوتها الدول العظام كما تهاب الواحدة منهنَّ الاخرى في هذه الايام

وآمالنا هذه كما ذكرنا في تلغرافنا[1] الذي ارسلناهُ اليوم معقودة بمجلس المبعوثان والمساعي

(١) هذه صورة التلغراف الذي أرسل

رئيس مجلس المبعوثان — الاستانة

العثمانيون هنا واكثرهم سروريون وارمن يحتفلون الليلة بافتتاح مجلس المبعوثان ويشتركون مع سائر العثمانيين بالابتهاج في هذا اليوم السعيد ويقدمون تهانيهم الى اعضاء المجلس لما لهم ثقة الامة التي توجه اليهم انظارها وتعلق بهم آمالها ويؤملون ان مساعيهم تخدم مصالح الامة وتنشر المبادئ الحقة ويبسط لواء العدل والحرية والامن في انحاء السلطنة فتنهض الى اوج العز والمجد

سعيد شقير

التي سيبذلها في هذا الشأن معضودًا من افراد الامة وجميع عناصرها في كل مكان

وهل اصلاح هذه السلطنة بالامر اليسير يا ترى بعد ان مرَّ عليها هذا الزمن وهي مرتع للفساد فانفصل من اجزائها ما انفصل واعتلت ادارتها واختلت ماليتها وبارت تجارتها وانحطت صناعتها واهملت زراعتها وهجرها سكانها وتقاربت مشارب العناصر المؤلفة منها . وهل هي قابلة للاصلاح وبلوغ درجة الارتقاء التي نرجوها لها اذا توفرت لديها الاسباب لذلك — جوابي على هذه الاسئلة جواب عثماني يحب بلادهُ فلا يرى لها سوى مستقبل باهر تتحقق فيهِ كل هذه الاماني

ولكني لا ادَّعي اني ملمٌّ بكل مواضع الخلل وان كنت ملماً بكثير منها او اني اعرف كل الطرق الكافلة للاصلاح وان كنت اعرف بعضها فان هذه تستلزم خبرة كبيرة باحوال السلطنة لم تتهيأ لي وتفصيلها اذا وُفي حقهُ من الاشباع يستغرق وقتاً طويلاً لا يحتملهُ هذا المقام ولكني سأذكر شيئاً من اليسير الذي اعرفهُ عنها مما لي فيهِ خبرة اكثر من سواهُ

(المالية)

ماليتنا حتى الآن ليس لها نظام يعرف ولا شكل معقول يوصف فقد شاءت الحكومة الماضية ان لا تطلع الامة على دخلها وخرجها بل ان تدفع الامة الضرائب صاغرة دون ان تلمس ببنت شفة سائلة عن السبيل الذي تنفق فيهِ . يكدح العامل والزارع والتاجر والصانع اناء الليل واطراف النهار حتى اذا ما حصل شيئاً يقتات بهِ يومهُ ويدخر منهُ تشيلوخانهِ جاءهُ جابي الاموال فابتزَّ منهُ ما جمعهُ بعرق جبينهِ تحت اسماء مختلفة من الضرائب والرسوم والعوائد فانتهم منها ما شاء وارسل الى الخزينة ما شاء . وما وصل الى الخزينة كانت حكومة الاستبداد تنفق معظمهُ فيما حرمهُ الله من السبل غير مصغية الى تبكيت ضمير او استغاثة فقير

حالٌ اذا لم تكن في ذاتها عجباً فانما صيرنا فيها هو العجبُ

ولكن الذي يدهش الخبيرين هو ان دخل الخزينة العثمانية يبلغ نحو ١٨ مليوناً من الليرات العثمانية يذهب منها نحو ثلاثة ملايين ونصف فائدة للديون التي اقترضتها الحكومة فيما مضى ومقدارها نحو ١١ ملايين وتسع كبير لا يعلم مقدارهُ لأن الله كان ينفق على الجواسيس والمخلقين وما بقي يستخدم قسم منهُ في دفع رواتب الموظفين الكبار وفي ما كان اضطراريًّا من نفقات الادارة والباقي في دفع رواتب صغار المأمورين وانفار الجند حماة الوطن الذين لولاهم ما كانت الامة العثمانية على ما هي فيهِ الآن من النعمة — هؤلاء الجنود كانوا يتركون

اليوم بعد اليوم والشهر بعد الشهر والسنة بعد السنة وليس على اجسامهم سوى خرق بالية لا تقيهم حر النهار ولا تدفع عنهم برد الليل وهم لا يكادون يحصلون اليابس من الخبز بلا ادام ليحفظوا اجسامهم وارواحهم معاً . ولكن الامر العجيب الذي يفتخر به العثمانيون في هذه الاحوال هو هؤلاء الجنود انفسهم فانهم رغماً عن هذه المعاملة السيئة لم يفقدوا عزة نفوسهم ولا فترت همتهم بل تحملوا الغيم صابرين وكانوا في كل معركة انتدبوا لها لحماية الاوطان موضوع اعجاب الصديق والعدو حتى شهدت لهم امم الارض انهم من اقوى جنود العالم بأساً واصعبهم مراساً واعظمهم شجاعة واشدهم اخلاصاً لدولتهم رغماً عن الظلم الذي قاسوه وسوء الحالة الذي وصلوا اليه

كذا كانت الطريقة التي كان ينفق فيها دخل المملكة ولم يكن هذا الدخل يكفي نفقاتها فكانت في معظم السنين تقترض النقود من مصادر مختلفة سداً لعجز الميزانية وقياماً بنفقاتها الادارية حتى بلغ دينها ما بلغ[1] وضاعت ثقة الماليين بها فلم تعد تستطيع ان تقترض درهماً الاّ بفائدة ثقيلة وبعد ان ترهن للحصول عليه شيئاً من دخلها او تتنازل عن كنز ثمين من كنوز السلطنة فاقترضت مليوناً ومئتي الف جنيه سنة ١٩٠١ بفائدة ٥ في المائة وثمانية ملايين سنة ١٩٠٢ وما ينيف على ٣٥ مليوناً سنة ١٩٠٣ ولكن القرضين الاخيرين كانا لتحويل بعض ديونها السابقة الى ما فائدته ٤ في المائة وتمكنت من استخدام قسم منهما لسد عجز الميزانية في العامين المذكورين وسنة ١٩٠٤ اقترضت ٢٢٠٠٠٠٠٠ لكة حديد بمصاد وسنة ١٩٠٥ اقترضت نحو ثمانية ملايين جنيه ذهب ذهب قسم كبير منها كما ذهب سواه وسنة ١٩٠٦ و١٩٠٧ اقترضت نحو تسعة ملايين جنيه تحويلاً لبعض ديونها السابقة ايضاً ولكنها استخدمت قسماً كبيراً من هذا القرض في سبلها المعهودة . وفي

(١) يبلغ دين الحكومة العثمانية نحو ١١٠ ملايين ليرة عثمانية منها نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ ليرة مضمون والجزية التي تدفعها مصر للدولة ومقدارها ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية ونحو ٨٠٠٠٠٠٠٠ ليرة مضمون يقسم كبير من موارد دخلها ونحو ١١٠٠٠٠٠٠ غير مضمون على ما يظهر . وفي الاستانة ادارة مخصوصة للديون العثمانية اشبه شيء بصندوق الدين المصري وهي تشرف على ريع الموارد المرهونة تدفع منه الفائدة لارباب الديون والموارد المرهونة هي رسوم الملح والمشروبات الروحية وورق اللعب وعلبات الاسباك والتحرير والبغ وجزية الروملي وبعض رسوم الكمارك ونحو ذلك والدخل من هذه الموارد يقدر باكثر من ثلاثة ملايين ومائتي الف ليرة عثمانية

ولا شك انه متى قررت ميزانية الحكومة في السنة الاولى بعد انعقاد مجلس المبعوثان تتمكن الامة من معرفة حقيقة دخلها ونفقاتها ومقدار دينها والكيفية التي انفق بها

اواخر سنة ١٩٠٧ واوائل سنة ١٩٠٨ كانت ساعية في عقد قرض آخر لكي تدفع بهِ عنها بعض نتائج نفقاتها غير مبالية بالحالة التي ستجرها اليها هذه الديون ما دام الاستحصال عليها يعطيها نفقات اليوم ولا يهمها امر المستقبل

هذه حالتنا الى امس فما الذي نأمل ان نراهُ في القريب العاجل بهمة مجلس المبعوثان وعضد الامة لهُ كما سبق الكلام

(الزراعة)

من المعلوم والتاريخ اصدق دليل ان كل بلاد انتبهت الحكومة فيها الى موارد ثروتها وامّنت الزارع على زراعتهِ والصانع على صناعتهِ والتاجر على تجارتهِ والمتملك على عقارهِ فرفعت الضرائب الجائرة وابقت ما كان خفيفاً عادلاً وبسطت راية العدالة والمساواة في الحقوق بين افراد الرعية صارت تلك البلاد الى التقدم سيرًا عظيماً لم يكن يتصوَّر لها فنمت تجارتها وزادت ثروتها اضعاف ما قدرهُ لها المصلحون والمتفائلون لما يظهر. ولست احتاج ان اذهب بعيداً لشواهدي فهذا السودان الذي نحن فيهِ رغماً عن رمالهِ المحرقة واهمال اكثر اراضيهِ وقلة سكانهِ وما خرب الدراويش منهُ والاحوال الخصوصية التي تقضي على مصلحيهِ ان لا يطمحوا بابصارهم في الوقت الحاضر الى النيل لريّ اراضيهِ ولا يسمحوا بزراعتها شيئاً يعود بالضرر على مالية القطر المصري كزراعة النيغ مثلاً زادت ايرادات خزينتهِ في اقل من عشر سنوات ثلاثين ضعفاً اي من ٣٥٠٠٠ جنيه الى ما ينيف على مليون جنيه وزادت قيمة وارداتهِ وصادراتهِ معاً من نصف مليون جنيه الى ما ينيف على مليونين ولا يبعد ان يكون عدد سكانهِ قد تضاعف لو امكن تعدادهم في الماضي واليوم والامن فيهِ سائد يسير الغريب كيف شاء في طولهِ وعرضهِ حيث بسطت الحكومة ظلها فاذا لم يؤذ الوحش لا ينالهُ اذى. كل ذلك نتيجة سهر حكام نزهاء يسعون في سبيل الاصلاح

وهذه مصر جارتنا وكلنا يعرف تاريخها الحديث منذ ربع قرن الى اليوم — فان ايراد خزينتها رغماً عن تخفيض الضرائب المستمر زاد من تسعة ملايين جنيه الى ١٦ مليوناً في ١٩٠٧ وقيمة صادراتها وواردتها معاً زادت من ١٩٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٨٠ الى ٥٤ مليوناً سنة ١٩٠٧ واراضيها الزراعية زادت في هذه المدة اكثر من مليون فدان ومحصولها من القطن ارتفع من مليونين وربع مليون قنطار الى نحو سبعة ملايين قنطار وبلغت قيمتهُ في ١٩٠٧ نحو ٢٣٦٠٠٠٠٠ جنيه وعدد سكانها الذي هبط في عهد الحكومات الاستبدادية من ٨ ملايين الى نحو ٣ ملايين عاد فارتفع في عهد الاصلاح الى ان بلغ احد عشر مليوناً وربع مليون .

كل هذه حقائق ثابتة لثبتها السجلات الرسمية وكنت احب ان اورد سواها ولكن هذين الشاهدين يكفيان لتقيس حالة البلاد العثمانية ومستقبلها عليهما اذا بدأت فيها يد الاصلاح

ان مساحة البلاد العثمانية في اوربا واسيا وافريقيا في الوقت الحاضر عدا ما انفصل عنها من البلدان نحو مليون و ١٥٨ الف ميل مربع[1] وهذه المساحة تزيد على مجموع مساحات انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا واسوج ونروج واسبانيا واليابان معاً وفيها من الاراضي الزراعية ما يكفي اضعاف اضعاف سكانها الحاليين فان فيها قامت اعظم دول الارض منذ عهد التاريخ فالكلدانيون والبابليون والاشوريون والسلوقيون والفرس والعباسيون تقلبوا عليها فعمروا واستعمروا واثروا وكانت الارض تفيض لهم لبناً وعسلاً والمظنون ان وسائط الري لم تكن متيسرة لمهندسي تلك الازمان كما هي متيسرة لمهندسينا هذه الايام ويكفي ان اذكر ان بين الفرات ودجلة نقط منطقة من الارض طولها ٩٠٠ كيلومتر ومساحتها نحو ثلاثة عشر مليون فدان اي ضعفا اراضي مصر الزراعية وهذه المنطقة ذات تربة خصيبة قل ان تفوقها تربة في العالم وهي المنطقة التي زارها منذ اعوام غير بعيد السر وليم ولككس ووضع فيها تقريره المشهور فابان فيه الطريقة اللازمة لاصلاح الري هناك ووصف حالة التربة وصفاً مستوفياً وذكر ما يصلح للزراعة فيها من المزروعات التي تعود بربح وافر تنفي الامة والحكومة معاً. ولكن تقريره هذا بقي حبراً على ورق شأن كل مشروع حميد في عهد الحكومة الماضية حتى انقلبت فقامت الحكومة الدستورية اليوم غيورة على البلاد راغبة في الاصلاح فتمسكت بذلك المشروع وسواه مما طرح في زوايا الاهمال في العهد القديم واستدعت السر وليم ولككس صاحبه كما هو معلوم ليستوفي درسه ويخرجه من حيز القول الى حيز الفعل. وقد اتفق لي قبل تركي مصر اني قابلت صديقي يوسف افندي القيموس المهندس الشهير فاخبرني انه طالع ما كتبه السر وليم ولككس في هذا الصدد بالتدقيق وعلمت منه ان كلاً من نهري الفرات ودجلة يصب في الثانية نحو ثلاث مائة متر مكعب من

---

(١) مساحة الاملاك الخارجة للدولة العثمانية وعدد سكانها كما يأتي

	اميال مربعة	عدد السكان بوجه التقريب
في اوربا	٦٥٣٥٠	٦٢٠٠٠٠٠٠
في اسيا	٦٤٣٦١٠	١٧٢٠٠٠٠٠٠
في افريقيا	٤٩٨٤٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠
والجملة	١١٥٧٨٦٠	٢٤٩٠٠٠٠٠٠

المياه مدة التحاريق وتزيد هذه الكمية الى خمسة آلاف مدة الفيضان اي ان كلاً من النهرين يصب من المياه مقدار ما كان يصب النيل قبل عمل الخزان . وفي المنطقة التي سبقت الاشارة اليها فصل حار يدوم زهاء ستة اشهر في السنة وهو كافٍ لزراعة القطن وقصب السكر . والارض كما سبق القول ذات خصب عجيب ينمو فيها كل ما ينمو في البلدان الحارة وصرف المياه منها اهون من صرفه من ارض مصر كما تبين بالتحليل والمدرس

فهذه بقعة واحدة في بلادنا العثمانية كافية لان تخرج لنا بعد اصلاحها واصلاح ريها ضعفي ما تربحهُ مصر من حاصلاتها . وغير هذه البقعة بقاع اخرى اذا لم تكن واسعة لطيرها فهي ليست بقليلة الشان في زيادة ثروة السلطنة ولقد ذكر لي يوسف افندي كثيرًا منها في البلاد العثمانية ولكني لست اشير الاَّ الى المعروف منها لاخواني السوريين فان في الحولة نحو ١٥٠٠٠ فدان مغمورة بالمستنقعات يستطاع تجفيفها واصلاحها بنفقة قليلة وهذه الاراضي اخصب تربة من ارض مصر وتصلح لزراعة القطن والبن وقصب السكر والحبوب على انواعها وتبعد عن خط سكة حديد حيفا نحو ثلاثين كيلومترًا فقط . وبين صور وصيدا بقعة من الارض يبلغ طولها نحو ٤٠ كيلومترًا وهي من اجود الاراضي تربة ويمكن ريها بعين قناطر تجز على نهر القاسمية والمشروع لا يقتضي نفقة تذكر بالنسبة الى الفائدة التي تنجم عن ري هذه الاراضي . وهو الان يدرس هذا المشروع درساً مدققاً ولا يبعد ان يتولى اخراجهُ من حيز القول الى حيز الفعل وعند النهر الكبير والنهر البارد قرب طرابلس الشام اراضٍ متسعة يمكن ريها بسهولة من هذين النهرين وهما لا يبعدان عن طرابلس اكثر من ثلاثين كيلومترًا ومثل ذلك يمكن ري اراضٍ كثيرة متسعة قرب حمص من بحيرة قريبة منها

ويطول بي الوقت اذا اسهبت في ذكر ما يمكن ريهُ من الاراضي وهو لا يروى الآن وفي اصلاح ري كثير من الاراضي التي تروى ريًّا غير مستوفٍ ولكني اكتفي بما ذكرت بياناً لما يمكن عملهُ لاصلاح الزراعة في المملكة العثمانية وكلٌّ يعلم انهُ اذا تقدمت الزراعة زادت ثروة البلاد واتسع نطاق تجارتها وزاد عدد سكانها وتحسنت مالية حكومتها وساد الامن فيها لان الفلاح متى اثرى اصبح محافظاً على الامن والسكينة من طبعهِ ليتمتع بمالهِ وثروتهِ

(المعادن)

هذا من حيث الزراعة وعدا هذه فان البلاد ولاسيما المنطقة الواقعة منها في آسيا غنية بمعادنها فان فيها كثيرًا من المعادن المعروفة التي تعود عليها بالثروة اذا انتبه الى استخراجها ولكنها مهملة لاسباب شتى ففيها معدن الكروم ويستخرج منهُ الآن من بقعة واحدة عرف وجودهُ

فيها نحو ١٥٠٠٠٠٠ طن سنويًا . وفيها الرصاص الفضي والزنك والمغنيس والانتيمون والنحاس فان في ارغني في ولاية ديار بكر منجمًا من النحاس يقول المخبرون انهُ من اكبر مناجم الدنيا واغناها وفيها البورق والذهب والفضة والزئبق والستباذج والزئبق والحديد والكبريت والرخام على اختلاف انواعهِ وفيها الفحم الحجري والاسفلتُ في الصناعة وفي نجاح البلدان لا تحتاج الى بيان . فان في هرقله على البحر الاسود منجمًا يستخرج منهُ سنويًا نحو ٤٠٠٠٠٠٠ طن ولا يبعد ان توجد مناجم غيرهُ في بقاع اخرى . وفيها منابع بترول في اواسط وادي الفرات وفي اماكن كثيرة في اسيا الصغرى وعلى الشاطئ الشمالي من بحر مرمرا وفيها غير ذلك من المعادن التي لا شك انهُ في عهد الدستور يسهل على ارباب الاعمال والاموال استقصاؤها واستثمارها فتجري منها ميازيب ثروة على البلاد والحكومة . ومتى اثرت البلاد وتحسنت مالية حكومتها امكن تنظيم داخليتها واصلاح جيشها وعمارتها البحرية وترقية جميع شؤونها

(المستقبل)

فالاصلاح اذًا ميسور والبلاد قابلة لهُ من حيث اراضيها الزراعية ومعادنها وموانيها واستعداد سكانها للتقدم فقد نبغ منهم في كل زمان افراد ظهر منهم من الهمة والذكاء في جميع الفنون العلمية والادبية والصناعية والسياسية ما يمكن اتخاذهُ دليلاً على ان الامة لا تحتاج الى مساعدة الاجانب طويلاً حتى تصير غنية منهم بابنائها في كل ما يلزمها — واني اسرح نظري في عالم الخيال وانظر الى ما يمكن ان تصير اليهِ المملكة العثمانية في الاستقبال فتجلى امامي مملكة عظيمة الشأن قوية الاركان تضاهي بعظمتها وضخامة ملكها اعظم ما وصلت اليهِ دول الارض فيما سلف من الزمان من الكلدان الى الرومان واليونان والانكليز في هذه الايام . فاوى ايراد خزينتها ١٤٠ مليونًا من الجنيهات كايراد الخزينة البريطانية لا ثمانية عشر وفيما صادرتها نيفًا وخمسمائة مليون من الجنيهات كقيمة صادرات بريطانيا ومستعمراتها لا خمسة وعشرين مليونًا كما هي الحالة الآن واوى لها جندًا ضخمًا تحتفي فوقهُ رايات النصر ابنًا سار فيهِ المسلم والمسيحي والاسرائيلي على السواء من تركي وعربي وارمني وسوري وغير ذلك من العناصر المؤلفة منها السلطنة يحارب الواحد مكانفًا الآخر وهو اخوهُ في الوطنية وشريكهُ في السراء والضراء وان خالفهُ دينًا ولغة وارى لها عمارة بحرية تباهي بها عمارات اعظم الدول البحرية . والبحري فيها كالجندي في الجيش مدرب احسن تدريب على الحركات العسكرية لابس احسن لباس يقبض راتبهُ في حينهِ وتعتني الحكومة بطعامهِ وشرابهِ وراحتهِ كما يعتني الاب ببنيهِ وارى التعليم الزاميًا في كل انحاء المملكة والمدارس منتشرة فيها من عملية وطنية

وزراعية وصناعية وصناعتا العثمانيون يحوكون ما تنسجهُ على اختلاف انواعهِ وهم يبنون دورنا ويشيدون قصورنا ويعتنون وينسجون كل ما نحتاج اليهِ من الاثاث والرياش وسائر الادوات التي في المنازل والقصور ويخترعون ويضعون كل ما يلزم الزارع في زراعتهِ والكاتب في كتابتهِ والتاجر في تجارتهِ والصانع في صناعتهِ والجندي والبحري في دفاعهما عن الاوطان ولكل عامل في عملهِ معهما كان — وارى العثماني عزيزاً مكرماً في عين الاجنبي فلا تداس حقوقهُ لضعفهِ ولا يستخف بهِ لانهُ تركي او سوري او روبي او ارمني عثمانيٌّ من الاجنبي ان ليس لهُ دولة ذات شأن تدافع عنهُ او جند عظيم قوي يهبُّ لحمايتهِ والذود عن حقوقهِ ولا يساق مكتوفاً في قلب السلطنة العثمانية الى السجن اذا اختصم مع اجنبي ويترك الاجنبي يسرح ويمرح ريثما يحصل التحقيق الابتدائي وارى الجنسية العثمانية غرّاً وعرّاً يتمسك العثماني بها تمسك الانكليزي بانكليزيتهِ والفرنساوي بفرنسويتهِ والالماني بالمانيتهِ ولا يسعى كما كانت الحالة حتى امس وراء حماية دولة من هذه الدول العظام ويصم نفسهُ وامتهُ امامها وصمة الذل والعار لينجو من ظلم يلحق بهِ من نفس حكامهِ العثمانيين الذين افسدت الحكومة السالفة اخلاقهم

وارى عدد سكان المملكة قد غدا قارتفع من ٢٥ مليوناً الى ٥٠ بل الى مئة مليون والمهاجرة من الاوطان التي حتى ٢٤ يوليو كانت متى كل انسان اصبحت اثراً بعد عين بل ارى انهُ قد عاد النازحون الى اوطانهم من صوريين و يونانيين وارمن واتراك على اختلاف طبقاتهم وتنوع الاسباب التي هاجروا من اجلها وهي وان اختلفت صورة كان مرجعها الى الاستبداد [1] اراهم كلهم قد عادوا من جميع اطراف الارض من اوربا واميركا واستراليا ومصر والسودان والصين واليابان حيث تنتاب فقيرهم الامراض وكل ضروب الذل التي ترافق الفقر وتنتاب ذا اليسار منهم انواع اخرى من الذل لا تقل عن ذل الفقر بل قد تكون آلم وامرّ

وارى حكام المملكة من اكبر وزرائها الى اصغر عامل فيها يضرب بهم المثل في الهمة والنشاط والنزاهة والكل يتفانون في خدمتها وحب الاصلاح دينهم بعد الله العدل والمساواة

(١) تصعب معرفة عدد المهاجرين من المملكة العثمانية منذ اخذ يدب الفساد فيها الى آخر عهد الاستبداد ولكنهُ لا شك يبلغ عدداً كبيراً فان النازحين من لبنان وحدهُ وهو من الولايات الممتازة يبلغون نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس فاعلم عما نزح من باقي السلطنة التي كانت يد الظلم ايسر وصولاً اليها واشد فتكاً باهاليها فقد اخبرني احد اعضاء جمعية تركيا الفتاة ان عدد الذين فروا من السلطنة العثمانية الى فتك بهم ايدي المابين وعمالهُ في عهد الحكومة الحميدية فقط لا يقل عن المليونين

بين الرعية وديدنهم العمل لزيادة ترقيتها المادية والادبية وارى مجال التقدم متسعاً لافراد الامة على اختلاف اجناسهم وادیانهم والمساواة في الحقوق عامة فلا يقام حاجزٌ حصين بين النابغ منهم واعظم مراكز الدولة لانهُ مسيحي او عربي او ارمني او سوري او غير ذلك كما كان يقام في وجهه في اكثر الولايات العثمانية اذا لم يكن تركيًّا او صنيعة المابين

هذه هي المملكة ايها السادة التي اراها في الخيال للعثمانيين في الاستقبال فهل تتحقق هذه الآمال ام تذهب كلها كانها اضغاث احلام · كل ذلك يتوقف على مجلس المبعوثان وعلى ما اذا كان وراءهُ امة حية تعضدهُ وقد بدأت تذوق طعم الحريةَ فتؤيد مطالبهُ وتبذل في الوصول الى هذه الغاية كل ما عزَّ وهان

هذه آمالنا التي نعيش عليها الآن وشتان بين هذه الآمال الحية وما كانت عليهِ آمالنا بالامس · ولمن الفضل في ذلك كلهِ الفضل فيهِ الى ضحايا الحرية وشهداء النهضة الدستوريَّة منذ ايام السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز الى يومنا هذا ولا سيما اولئك الابطال الذين لم يرهبهم الوعيد ولا غرَّتهم الوعود بل قاموا ينتصرون للدستور والحرية تحت خطر الموت منذ فضَّ مجلس المبعوثان الاول · فلنشرب على ذكرهم وذكر الجيش ولنقل جميعاً ليحيَ ابطال الحرية وليحيَ الجيش العثماني ولنقم لهم التماثيل في كل انحاء السلطنة اقرارًا منا بفضلهم الى الابد واعترافاً بجميلهم المرسوم على الصدور باحرف من نور ومثالاً لابنائنا من بعدنا يقرأون تاريخهم و يقتفون آثارهم اذا لاسمح الله عاد للظلم عصر في ايامهم وطمست ابصار حكامهم للاستئثار بالسيادة والعبث بحقوق الامة

ويجب الآ ننسى ايضاً فضل الامة البريطانية في هذه النهضة العثمانية فقد كان لها يد قويَّة في هذه الحركة تقوّى بها الاحرار واشتدَّ ازرهم فمنعت عنهم مطامع الدول الطامعة فيهم وساعدتهم في الفوز بامنيتهم ففازوا بها دون ان يثور ثائر الثورة في البلاد وتراق دماء الالوف من العباد وهذه الامة اشتهرت في كل عصر بحب الحرية ونشر مبادئها وعضد طالبيها في كل صقع استطاعت لمساعدة اهليهِ سبيلاً وما هبَّ العثمانيون في طلبها حتى هبت لتجدتهم ووقفت في وجه من رام عرقلة مساعيهم · والحق يقال انهُ لولاها لما كانت نتيجة هذه النهضة باهرة كما نراها ولعلنا لم نكن في هذه الآمال التي نبنيها للاستقبال فلنشرب على ذكرها هذه الكاس وندعُ لها بالبقاء ولرايتها بالفوز ولصداقتها للعثمانيين بالدوام · فلتعش الامة البريطانية

الخرطوم في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٨ سعيد شقير

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

ذوات الظلف والحافر والخف[1] UNGULATA

﴿ البقر الاهلي ﴾ Bos taurus

﴿ الغَوْر[2] (هندية معرّبة) ﴾ E. & F. Gaur نوعٌ من Bos Gaurus. البقر الوحشي[3] وهو في حجم الجاموس وشبيه به

﴿ الجَيال (هندية معربة) ﴾ E. & F. Gayal نوعٌ من Bos frontalis. البقر الوحشي الهندي

﴿ الجاموس (معرّب كاويش بالفارسية ﴾ Bos bubalis. E. Buffalo. F. buffle حيوانٌ من جنس البقر وهو اكبر من البقر الاهلي واصعب مراساً منهُ . والجاموس الناجن اصلهُ من الهند ويوجد منهُ اصنافٌ وحشية في افريقية

﴿ البَيسُون (معرّبة) ﴾ E. & F. Bison B. bonasus & B. americanus جنسٌ من البقر الوحشي يوجد منهُ نوعان احدهما أوروبي والآخر اميركي وهما نادرا الوجود الآن وكادا ينقرضان

﴿ الضأن ﴾ Ovis aries. E. Sheep. F. Mouton

﴿ الأرويَّة . الضأن الجبلي . الكبش الجبلي[4] ﴾ Ovis tragelaphus. E. Barbary wild-sheep or arui. F. Mouflon à manchette ou aroui الارويَّة الضأن الجبلي وهي ادماء اللون وعنقها وصدرها مكسوّان بصوف طويل وطا قرنان اعتقان اقصر من قرني الوعل وذنبها اطول من ذنبهِ وهي من الضأن لا من الماعز كالوعل وتوجد في شمال افريقية حيث تعرف بالأرّوي وفي جبال القطر المصري الشرقية والسودان الشرقي وجبال سينا[5]

---

(١) الظلف للبقر والغنم والمعز والحافر للفرس وغيره من الدواب والخف للجمل بمنزلة الظفر للانسان (٢) تعريب دائرة المعارف (٣) المقصود بالبقر الوحشي هنا ان هذه الحيوانات من جنس البقر Bos الا انها وحشية وهي خلاف البقر الوحشي المعروف عند العرب فهو ليس من البقر بل من الظباء الكبيرة وسيأتي ذكرهُ (٤) مفردات ابن البيطار (٥) انظر قاموس الكتاب المقدس لمحمد صفحة ١٤٦ ولفظة سيناء في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست

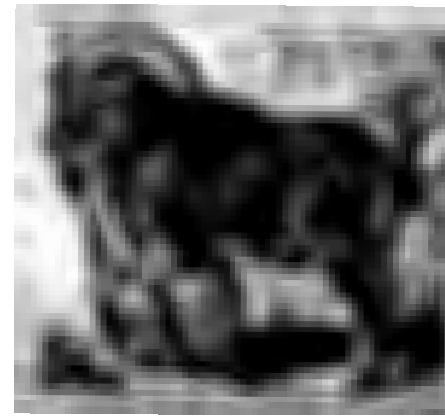

الاروية اي الضأن الجبلي

الوعل اي المعز الجبلي

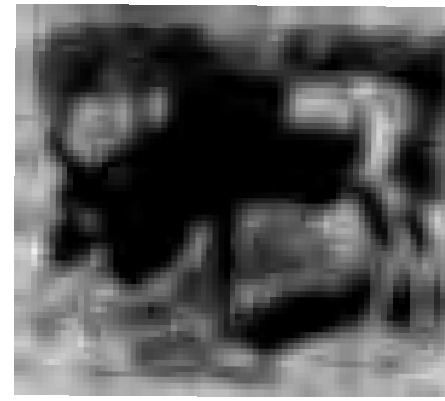

المهاة

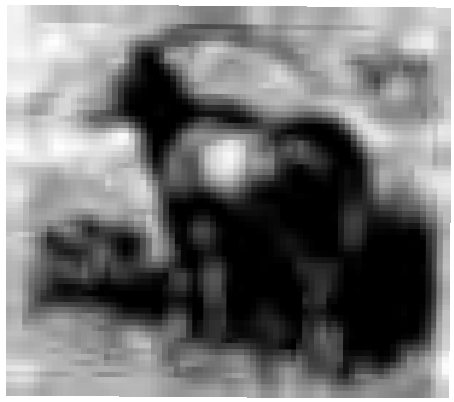

المارية او الوشيقي

حيث تعرف بالكبش وكانت كثيرة الوجود في جبال المقطم على مقربة من القاهرة وصيدت واحدة منها عند ابواب المدينة منذ نحو مئة سنة (١)

والأُرويَّة في كتب اللغة الانثى من الوعول وهذا ما جاء عنها في لسان العرب قال — « الأُرويَّة ... الانثى من الوعول ... قال ابو زيد يقال للانثى ارويَّة والذكر ارويَّة وهي تيوس الجبل . ويقال للانثى عنز وللذكر وعل ... وهو من الشاء لا من البقر ... وهي الايائل وقيل غنم الجبل » . واطال في البحث عن اصل هذه اللفظة ووزنها ووزن جمعها مما استغرق اكثر من صفحة ولم يصفها بغير ما ذكرت . وفي غيره من كتب اللغة مثل ذلك تقريباً ووصفها مشوّش لا يفهم منهُ هل هي حقيقةً انثى الوعول لانهم قالوا ان اللفظة تطلق على الذكر والانثى وقالوا انها شاة الجبل وغنم الجبل ، ولا يخفى ان الشاء والغنم يطلقان على الضأن والماعز . وعندي ان الارويَّة خلاف الوعل فهي ليست انثى الوعول كما قالوا بل حيوانٌ قائم بنفسهِ يعرف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر . فالضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب ولا يزال معروفاً عندهم ولا يعقل انهم يتركونهُ بلا اسم خاصٍّ بهِ مع ان للتيس الجبلي اسماء كثيرة منها الوعل والبدن والتالب الخ . والارويَّة شبيهة بالوعل فالتبس امرها على اللغويين وقالوا انها الانثى من الوعول وخصوصاً لانها في صيغة المؤنث . والتذكير والتأنيث عندهم كان موقوفاً في غالب الاحيان على كبر الحيوان او كبر قرنيهِ فقالوا الشيهم ذكر القنافذ لانهُ اكبر منها او لان شوكهُ اطول وقد مرّ بنا ان الشيهم حيوانٌ قائم بنفسهِ وهو خلاف القنفذ وقد ورد ذكرهُ في ابن البيطار على حدة ولم يقل عنهُ انهُ القنفذ بل قال الشيهم ويسمى الضرب وهو صحيح . وقالوا ايضاً ان الأَيل ذكر الوعول وذلك لانهُ اكبر ولان قرنيهِ اكبر من قرني الوعل والشمبان . وقالوا اليأْمور ذكر الايل والحقيقة انهُ حيوانٌ قائمٌ بنفسهِ . ولدينا امثلة كثيرة خلاف ذلك في اللغة . وعندي ان عرب البادية لا تخطئ بين هذه الحيوانات فالخطأ من الذين نقلوا كلامهم فاليدوي الذي عرف ثلاثة انواع من الظباء وهي الادم والعفر والآرام وهي اسماء لم تزل معروفةً عند العرب لهذا العهد كما سيجيء لا يخطئ بين الضأن الجبلي والمعز الجبلية . وقد سألت اعرابياً من المطربة عن الكبش الجبلي وهل يوجد في جبال مصر الشرقية فاجابني بالايجاب فقلت لهُ لعلك اقصد البَدَن (اي الوعل) قال البدن شيء وكبش الجبل شيء آخر

وتعرف الارويَّة بهذا الاسم في وقتنا الحاضر ويسميها عرب شمال افريقية الأَرْوي

(١) وصف مصر الطبعة الفرنسوية مجلد ٢٣

ونقل الافرنج هذه اللفظة عنهم وسموها Arui او Aroui او Lerwee ومن اسمائها عند علماء الحيوان Ovis lervia واللفظة الاخيرة مأخوذة من لفظة الاروي العربية على ما اظن. وقد جاء في كتاب التاريخ الطبيعي الانكليزي ما تعريبهُ " يظهر ان لفظة اوداد المستعملة في كتب التاريخ الطبيعي غير معروفة في البلاد التي يوجد فيها هذا الحيوان بل يسمونهُ الأروي[1] Arui " وورد ذكر الاروي في رحلة الدكتور شو في شمال افريقية وقال ان العرب يسمونهُ Lerwee اي الاروي ويظهر ان العلماء في ايامهِ لم يعرفوا حقيقة امر هذا الحيوان فسماهُ Tragelaphus وهو الاسم الصحيح الذي يعرف بهِ الآن لكنهُ ظنهُ من الماعز والمعروف عند العلماء الآن انهُ من الضأن ورحلة الدكتور شو هذه منذ ١٠٠ سنة تقريباً . وورد ذكر هذه اللفظة ايضاً في كتاب فرنسوي[2] طبع حديثاً فتجد فيهِ صورة الضأن الجبلي وتحتها ما تعريبهُ " وهذا الحيوان الجميل يسمى الأروي بالعربية ". وقد ظن بعضهم ان الاروية نعاج الدست اي نعاج الصحراء المقصودة بقول الشاعر

تخذتهُ من نعجات ستٍّ سود نعاج من نعاج الدست

والغالب ان الشاعر يقصد نوعاً من بقر الوحش فان اناثها تسمى نعاج الوحش ونعاج الرمل والاروية اي الضأن الجبلي لا تسكن الرمال والصحاري بل الجبال فقط . وكانوا يصيدون نعاج الوحش على النوق ويسمون الناقة السريعة التي تصاد عليها نعاج الوحش الناعجة فلا يمكن ان يكون المقصود بنعاج الوحش الضأن الجبلي لان النوق لا تسلك الجبال التي يقيم فيها . واما وصف الشاعر لها بالسواد فلم اقدر ان افهمهُ فلا البقر الوحشي اسود ولا الضأن الجبلي اسود

وقد جاء في التوراة (تث ١٤ : ٥) ذكر حيوان اسمهُ زَمر بالميرانية ويظن علماؤها انهُ الضأن الجبلي فان صح ذلك وجب ان تترجم هذه اللفظة بالاروية لا بالمهاة لان المها نوعٌ من بقر الوحش كما سبق

﴿ المَفلُون[3] (فرنسوية معرَّبة) Ovis musimon. E. & F. Moufion نوعٌ من الأروي يوجد في كورسيكا وسردينيا

---

(1) The Royal Natural History, II. 232

(2) Les Animaux Vivants du Monde, I, 223

(3) تعريب احمد فارس

﴿ الوعل ﴾ Capra nubiana. E. Ibex or wild-goat. F. Bouquetin

نوعٌ من المعز الجبلي وهو آدم اللون ولهُ قرنان قويان مخنيان كبيرين احدبين يلتقيان حول ذنبهِ من اعلاهُ ويعرف في صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي بالبَدَن ووعل عيسو وفي سينا و بلاد العرب بالبَتَن والوعل ولهُ بالعربية اسماء كثيرة غير هذين الاسمين تجدها في الجزء الثامن من المخصَّص لابن سيده . وقد ورد ذكر الوعل في التوراة وهو يعل بالعبرانية واللفظان العربي والعبراني من التوعُّل اي الصعود في الجبال[1] وهو مرسوم على الآثار المصرية واسمهُ وعتي[2] بالهيروغليفية واللفظة كما لا يخفى مشابهة للاسمين العربي والعبراني

وقد ترجم بعضهم لفظة Stag الانكليزية بالوعل وهو خطأ فهذه اللفظة تطلق غالباً على ذكور الايائل ويجب ان تعرَّب بالأيّل مثل لفظة Hart

﴿ البُزْل . البَازِن (فارسيتان) . الوعل الفارسي ﴾ C. aegagrus. E. Beozar goat F. Egagre

نوعٌ من الوعول الفارسية وهو الحيوان الذي يستخرج منهُ البازهر الحيواني ومن اسمائهِ عند الافرنج Pasen و Paseng وكلاهما من بازن الفارسية . والبزل في كتب اللغة عنزٌ وفي الالفاظ الفارسية المعرَّبة ان هذه اللفظة مشتقة من بازن الفارسية فان صح ذلك يكون البزل نفس الحيوان المسمى بازن عند الفرس والافرنج وهو الوعل الفارسي

والبازهر وفيها لغات يعرف عند امراء لبنان بحجر السم وهو مادة حجرية توجد في جوف هذا الحيوان زعم اطباء الفرس والعرب انهُ مضادٌ للسموم . وفي كثير من الكتب العربية انهُ يستخرج من بطون الايائل والحقيقة ان البازهر الاصلي يستخرج من الوعل ولذلك اسمهُ حجر التيس بالعربية (البرهان القاطع ومعجم ڤولرس الفارسي) وهذا ما جاء عنهُ في كتاب الباهر في الجواهر لشيخ ابرهيم السويدي الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية قال " البازهر الحيواني يستخرج من بطون الاوعال الجبلية ... ويسمى خُرزة التيس نسبة الى المعز الجبلية " . وذكر المسيو لكلرك في ترجمة مفردات ابن البيطار نقلاً عن البيروني انهُ يستخرج من الوعول وقد ذكرت ذلك لان الدميري في باب الايّل خلط بين الوعل والماروخور والايّل وقال ان البازهر يستخرج من بطون الايائل وظن الكولونل جايكر ان الايّل هو Bezoar goat لعلمهِ ان البازهر يستخرج منهُ فترجم لفظة الايل Bezoar goat وحتما ان

(١) Encyclopedia Biblica

(٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال

تترجم Fallow-deer ولا لوم عليه في ذلك لان وصف الايل في الدميري مشوش جدًّا وسنوضح ذلك في باب الايل

﴿ المعز الاهلية ﴾ Capra hirsuta. E. Goat. F. Chèvre

﴿ المارخور[1] (فارسية) ﴾ Capra falconeri E. & F. Markhor نوعٌ من الوعول الهندية زعموا انهُ ياكل الحيات ولذلك سمي مارخور بالفارسية اي آكل الحيات

﴿ المرعز · المرعزي ﴾ C. angorieusis E. Angora goat F. Chèvre d'Angora صنفٌ من الماعز يوجد في آسيا الصغرى وهو طويل الشعر ناعمهُ · وقد ورد ذكرهُ في مفردات ابن البيطار لكنهُ لم يصفهُ والمرعز في اللغة الشعر الذي تحت شعر المعز والقنطة مستعملة في وقتنا الحاضر في العراق والشام ومصر والسودان لهذا الصنف من الماعز الاهلي ويقتني اهل السودان فراء المرعز ويلبسون بها سروج دوابهم وجمالهم

﴿ الأَلَنْد (معرّبة) ﴾ Oreas canna. E. Eland F. Oreas نوعٌ من الظباء[2] وهو من اكبرها جثة وفي عظم الثور ولهُ قرنان طويلان ملتويان · وخلقهُ اواسط افريقية

﴿ المرامري (سودانية) ﴾ Strepsiceros E. Kudu F. Condou نوعٌ من الظباء الكبيرة وهو احمر اللون ومخطط بخطوط بيض · للذكر منهُ قرنان كبيران لولبيان والانثى جمّاء اي لا قرون لها . ومن اسماء هذا الحيوان في السودان النيالت ففضلت لفظة المرامري وهي مستعملة في جهات الاسكندرونة

﴿ النيلغاي[3] (معرب نيل گاو بالفارسية اي البقر الازرق ﴾ B. Tragelaphus. E. Nilgau F. Nilgaut نوعٌ من الظباء الكبيرة . شبيهٌ بالبقر ازرق اللون للذكر قرنان صغيران والانثى جمّاء

﴿ بقر الوحش ﴾ البقر الوحشي في كتب اللغة وغيرها الايل والبحمور والوعل والثيتل والمهاة · الا ان العرب خصّوا هذا الاسم بثلاثة انواع من كبار الظباء كما يشهد بذلك وصفهم للبقر الوحشي في اشعارهم كابيات الثابغة التي ذكرها المقتطف وشرحها في الصفحة ١٩٠ من المجلد الثامن عشر وأولها " من وحش وجرة موشيٌ اكارعهُ " . فالايل والبحمور من ذوات القرون المعمّمة المتشعبة واسماؤها العلمية معروفة كما سبق وقد مرّ بنا ان الوعل

---

(١) تعريب المقتطف (٢) الظبي في اللغة الغزال المعروف وقد اطلق المقتطف هنا اللفظة على ما يسميه انكلاه Antelope قال · اطلقنا كلمة الظباء على الحيوانات الجوترة الجوفة القرون التي يطلق عليها علماء الحيوان اسم Antelopes ومنها الغزال وبقر الوحش الخ " (مجلد ١٩ صفحة ٨٨) (٣) تعريب المقتطف (مجلد ١٩ صفحة ١٨٦)

من الماعز والعرب لهذا العهد لا يطلقون هذا الاسم اي البقر الوحشي الاَّ على الظباء الكبيرة الجوفة القرون ولا يوجد من هذه الظباء سوى ثلاثة انواع في بلاد العرب وهي (Addax, Oryx, Bubale.) والاخير منها يعرف بالثيتل في وقتنا الحاضر . بقي علينا الادكس والاركس ولها اسماء كثيرة بالعربيَّة اشهرها المَهاة وقد جاء في وصفهم لها انها بيضاء اللون وهذه الصفة تصدق على الادكس والاركس الاَّ ان الاول منهما عيناهُ اجمل كما يتضح من مشاهدة الاثنين في حديقة الجيزة فاذا صدق ابن الجهم في قولهِ

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

ولا اظنهُ كاذباً تكون المَهاة الحيوان المعروف بالادكس عند العلماء وهي الترجمة التي عوَّل عليها القانون ترستِرام والكولونل جايكر ولا ارى وجهاً لمخالفتهما . اما الاركس فلهُ اسماء كثيرة بالعربيَّة منها المارية والمَيطلة والارخ الخ واللفظة الاخيرة تشبه كثيراً لفظة Oryx التي وردت في كتاب النعوت لارسطو ويستعملها العلماء لهذا العهد ولا اعلم اصلها فهل اخذها ارسطو عن الشرق كما اخذ غيرها من اسماء الحيوانات او هي يونانية الاصل ونقلت الى العربيَّة

﴿ المارية . البَهْمة . المَيطَلة . الماري . اللأْي . الأَرخ . الناشط[1] ﴾ Oryx beatrix نوعٌ من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب ببقر الوحش وهو ابيض اللون مع حمرة قليلة في العنق ولهُ قرنان طويلان كسيفين احدبين ويُعرف في نجد والحجاز والعراق بالوُضَيحي[2] لبياض لونهِ على ما اظن وفي عمان بابي سولع[3] واظن سبب ذلك ما ذكروا عن الجاهلية انهم كانوا اذا اجدبت ارضهم يأخذون اغصاناً من السَّلَع (والسَّولع وهو نوعٌ من الصبر) والعُشَر[4] ويسلقونها باذناب ثيران الوحش ويحدرونها من الجبال بعد ان يشعلوا النار في تلك الاغصان يستمرون بذلك والمسلَّع ما علق عليهِ السلع ذل شاعرهم

لا درَّ درُّ رجالٍ خاب سعيهمُ يستمطرون لدى الازمات بالعُشَرِ

اجاعلٌ انت بيقوراً مسلَّعةً ذريعةً لك بين الله والمطرِ

فان صح رأيي تكون هذه التسمية ابو سولع من بقايا هذه العادة القديمة في الجاهلية . وبقر الوحش مرسومٌ على الآثار المصرية وسماهُ الباحثون المارية بالعربيَّة . وظن بوخارت وترستِرام وغيرهما من علماء التوراة ان هذا الحيوان يسمى رئماً بالعربية والرئم بالعربية نوعٌ

(١) لها اسماء كثيرة غير ما ذكرت نجدها في الخصص (٢) هذه اللفظة سمعتها من سليمان افندي البستاني وكان عندهُ حيوانٌ منهُ وهي مذكورة في رحلة دوغي في بلاد العرب (٣) الكولونل جايكر Asclepin gigantea (٤)

من الظباء الصغيرة في حجم الغزال المشاد ويعرف بهذا الاسم لهذا السبب وسأبحث في ذلك عند ذكر الرئم

﴿ المهاة ﴾ Addax nasomaculatus E. & F. Addax نوع من الظباء الكبيرة وهي بيضاء اللون مع سواد قليل في الانف ولها قرنان كبيران لولبيان وتعرف في المغرب باسم ابو عدس[1] Abou Addas وذكر بلينيوس هذا الحيوان وقال انهُ يسمى Addace في المغرب واظنها لفظة بربريَّة الاصل وعربت باسم عدس بعد دخول العرب . ولفظة المهاة هذه تشبه مأو بالمصرية القديمة ولا اعلم هل سميت بالمهاة لبياض لونها كما جاء في كتب اللغة او هي ومأو المصرية من اصل واحد وقد ذكرها احمد بك كمال وقال لعلها المهاة

الدكتور امين المعلوف

الامانة سر النجاح

لما نشرنا القصة المضمونة تفوَّق العقول في الجزء الاخير من السنة الماضية عقَّبنا عليها بقولنا " يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع ... فان الخداع يفسد اشرف المناقب ونجاح المخادع لا يفرق عن نجاح السارق " وقد وقفنا الآن على خطبة للاستاذ جون برنر من اساتذة مدرسة ستنفرد الجامعة باميركا موضوعها " الامانة " القاها على تلامذة تلك المدرسة عسى يدربون انفسهم على الامانة لمستخدميهم والذين يشتغلون معهم بعد خروجهم من المدرسة لانها سر النجاح . ومما قالهُ لهم ان الامانة افضل المناقب سواء كانت من الغرائز الطبيعيَّة او من الملكات المكتسبة وهي على انواع بحسب ما تضاف اليهِ كالامانة للمبادىء والامانة للنظامات والامانة للجماعات والامانة للاشخاص . واسماها كلها الامانة للمبادىء الصحيحة فاذا اعتقد الانسان صحة امر فعليهِ ان يكون امينًا لهُ مقبلاً عليهِ معها تغيَّرت الاحوال والشؤون وسواء انتفع من التمسُّك بهِ او نالهُ منهُ ضرر

اما الامانة للنظامات والجماعات والاشخاص اي الامانة للذين نعيش معهم ونعاملهم سواء كانوا حكَّامًا او شركاء او عشراء فليست في درجة الامانة للمبادىء الصحيحة سموًّا ولكنها ضرورية ايضًا وهي من لوازم النجاح في الاعمال ومن المناقب التي يجب ان يتحلَّى بها كل انسان ولا يُعفى منها الَّا اذا خالفت المبادىء الصحيحة . ويراد بالامانة في ما تقدَّم وما

(١) دائرة المعارف الفرنسوية

يأتي الاخلاص التام لمن يجب لهُ الولاء مخدوماً كان او شريكاً او حاكماً

قال الخطيب المشار اليهِ مخاطباً اولئك التلامذة انكم حينما تُتمون دروسكم وتخرجون لمعاطاة الاعمال فاما ان تخدموا او تخدموا فاذا استخدمتم احداً وكنتم حكماء فاوّل صفة تلتفتون اليها ويكون لها المقام الاسمى في نفوسكم امانتهُ لكم واذا وجدتم انكم لا تستطيعون ان تأتمنوهُ فلا يليق بكم ان تستعملوهُ مهما كان ماهراً فيها . واذا استخدمكم احدٌ فهو ينتظر منكم الامانة التامة وتكون اهميتكم لديهِ حسب امانتكم لهُ . وجملة القول انهُ ما من احد يريد ان يستخدم رجلاً وهو يعلم انهُ غير امين لهُ يخاتلهُ او يفشي اسرارهُ او يغتنم الفرص للانتفاع على حسابهِ

وحسبنا مثالاً لما تقدّم القصّة المشار اليها آنفاً قصة ذلك الشاب الروسي الذي استعمل اموراً تختص بالشركة لنفعهِ الخاص فلو سألت مديري الشركة عن رأيهم فيهِ لقالوا انهُ خدعهم وانهُ يتعذّر عليهم ان يأتمنوا من كان مثلهُ وهو نفسهُ لو استخدم شاباً ثم علم انهُ سيخدعهُ كما خدع هو رؤساءهُ لا قصاهُ من خدمتهِ حالاً ولم يستخدم من يعتقد انهُ غير امين لهُ يطّلع على اوراقهِ وتلغرافاتهِ ويستعملها لنفعهِ الخاص . واذا انتفت الامانة من بين الناس لتعطلت الاعمال وبارت المتاجر والمزارع وفسد نظام الاجتماع

- اي تاجر يستخدم كاتباً وهو يعلم انهُ غير امين لهُ او يستخدم مديراً لتجارتهِ وهو يعلم انهُ لا يسعى جهدهُ في ترويجها واي مالك يستخدم ناظراً لزراعتهِ وهو يعلم انهُ لا يبذل جهدهُ في خدمة الزراعة واستخدام العمال

قال احد الفضلاء ان الامانة اغلى ما يستخدم اي ان ارباب الاعمال يفتشون عن الامين ويعطونهُ اكبر الرواتب

وقال الخطيب رأيت بالامس كتاباً من مدير اكبر شركات المعادن يقول فيهِ ان من يخون مخدومهُ لا يليق بهِ الاّ المعول والرفش . اما انا فاقول ان المعول والرفش كثيران على من لا يؤتمن . واصحاب الاعمال ينتفرون قلة الذكاء وقلة المهارة وقلّة الحنكة ولكنهم لا ينتفرون قلّة الامانة ولو مع الذكاء والمهارة والحنكة

واذا اشترك كثيرون في عمل واحد كما في الشركات الصناعية والتجارية وفقدت الامانة منهم بعضهم لبعض فقدَ النظام وتعذّر النجاح لان اول شرط من شروط المشاركة المعاونة على العمل والسعي في النجاح من غير ان يفضّل احد الشركاء مصلحتهُ على مصلحة شركائهِ في ما هم مشتركون فيهِ او في ما يكتسب من شركتهم ادبيًّا او ماديًّا

قال الخطيب ورب معترض يقول انطلب من الشاب الحر الشمائل ان يخدم غنيًّا متغطرساً ويتذلَّل لهُ او يخدم شركة مستبدة ويخضع لارادتها. فاجيب كلاَّ والخادم الامين لا يضطرُّ ان يتذلَّل بل هو الذي يستطيع ان يرفع رأسهُ لان استقامة السيرة تجعل المرء يقف منتصباً مستقيماً غير هيَّاب ولا وجل. واذا كان رئيسك مستبدًّا صعب المراس فاتركهُ ولكن لا تخنهُ ولا تلوِّث سمعتك بدنيئة تأتيها وخير لك ان تخرج من خدمتهِ طاهر الذيل من ان تبقى معهُ وتخدعهُ وتخونهُ فتخسر من اخلاقك ما لا يثمَّن بمال

ثم ان الامانة لا تستلزم ان يخدع الانسان زيدًا لكي يكون امينًا لعمرو ولا تستلزم ان يسعى في مصلحة زيد ولو كان غير محق فيها

والذين يطلبون الامانة من مستخدميهم يجب ان يكون عملهم شريفاً يستحق ان يعملوا بهِ ويكونوا امناء لهُ والاَّ فالامانة غير مطلوبة ولكن لما كان نظر الناس مختلفاً في تقدير الاعمال من حيث وجهتها الادبيَّة نقد يحسب المستخدم عملاً غير شريف وصاحب العمل يحسبهُ شريفاً فاذا لم يرَ المستخدم وجه الصواب في عمل رئيسهِ فعليهِ ان يتركهُ وشأنهُ لعلَّ الرئيس على حدًّى وهو على ضلال. فاذا كنت في خدمة احد ولم تستحسن عملهُ فاتركهُ ولكن لا يجوز لك ان تغدر بهِ وتخونهُ بوجه من الوجوه وكذا اذا كنت مشتركاً مع جماعة في عمل ما ورأيت العمل غير جائز في اعتقادك فاترك الجماعة وشركتها ولكن لا تخنها لانك قد تكون مخطئاً في اعتقادك والخيانة خاتة تلتصق بك ويقع ضررها عليك. وما دمت مشتركاً مع الجماعة فعليك ان تبقى امينًا لها

والامانة تجب على المخدوم كما تجب على الخادم. تجب على رب العمل كما تجب على العمال فيجب على المخدوم ان يكون امينًا لخادمهِ وعلى رب العمل ان يكون امينًا لعمَّالهِ. وهذه الامانة المتبادلة هي سر نظام الاعمال ونجاحها ولا يحق للمرء ان يطلب من غيرهِ ان يكون امينًا لهُ وهو غير امين لذلك الغير لانهُ يتعذر على المرء ان يكون امينًا لمن يتجنهُ او يغتابهُ. وما قيل عن امانة الشريك لشريكهِ والخادم لمخدومهِ والمخدوم لخادمهِ يقال عن امانة المرء لشرائع بلادهِ وقوانينها ونظاماتها واحكام الطائفة التي هو منها. والامانة المتبادلة كالحب المتبادل تزيل المصاعب وتدوس على المشاكل وتربط الناس برباط واحد ولكن على الحكيم ابن الدهر ان لا يترقَّع من الناس فوق ما يستطيعون بل يغتفر الزلات والهفوات ويقول مع القائل

اذا انت لم تشرب شرابًا على القذى ظمئتَ وأي الناس تصفو مشاربهُ

دولة آل عثمان

٤

السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح

خلف اباهُ السلطان مرادًا سنة ١٤٥١ مسيحية الموافقة لسنة ٨٥٥ هجرية . وهو الذي فتح القسطنطينية وكانت قد بلغت حضيض الضعف . قال جودت باشا في تاريخهِ المشهور انهُ "حدث حينئذٍ نزاع مذهبي بين الارواميين ووقع الضعف والوهن في امبراطورية الاستانة حتى انهُ لم يبقَ للامبراطور من السلطة الاَّ مجرَّد الاحتشام والرسوم والعادات البسيطة . ويروى ان وكلاءهُ منَّا بلغهم ان حضرة السلطان محمد خان الثاني بنى قلعة بوغازكسن وسدَّ عليهم خليج القسطنطينيَّة اختبطت عقولهم واضطربت افكارهم وعقدوا للمذاكرة في هذا الامر مجلسًا كبيرًا في ايا صوفيا فاخذوا يتزاحمون في اوقات الاجتماع على التقدُّم في الجلوس ولم يراعوا حقوقهم بحسب مراتبهم فادَّى بهم ذلك الاختلاف الى التضارب بالكراسي على الرؤوس . وفتحُ الاستانة وان كان ممكنًا قبل هذا الاوان نظرًا لارتباك احوال اهلها فان عوارض الزمان قد حالت دونهُ ثم لما صار الامر الى حضرة ابي الفتح محمد خان المشار اليهِ تمكَّن من حل هذه العقدة وفاز بما كان يأملهُ وذلك انهُ في سنة ٨٥٧ جهَّز عساكر جرارة ومدافع عظيمة وزحف عليها من جهة ادرنه وفتحها . فامتدت الدولة العلية بذلك الى مركزها الحقيقي واصبح حضرة الفاتح بعد ان تمَّت لهُ لوازم السلطنة بهذا الفتح جديرًا بلقب ملك الملوك . ولا يخفى ان سعادة الامة ناشئة عن اتحاد الكلمة واتفاق الرأي وكرم السجايا كما ثبت في هذه القضية فان الروم كانوا على غاية القوة المالية والمعرفة بامور السياسة الدولية حتى ان اوربا استفادت منهم لما انتشروا فيها بعد فتح القسطنطينيَّة لكن العثمانيين الذين كانوا شرذمة قليلة متيهة في ضواحي الاناطولي ظلوهم وما ذلك الاَّ لدخول الفساد على اخلاقهم وشدة الشقاق بينهم فلم تنفعهم قواهم المالية ولا معارفهم السياسية

"وبعد فتح القسطنطينيَّة احرزت الدولة العلية في مدة وجيزة اسطولاً كامل العدَّة والذخيرة واستولى حضرة الفاتح على القريم وعلى قلاع ومواطن كثيرة في اسيا واوربا وضمها الى ممالكهِ وحيث كانت الدولة العلية تراعي جانب العلماء كانوا يؤمُّونها من كل فج عميق واصبحت القسطنطينيَّة في ذلك العصر دارًا للعلوم والفنون"

هذا ما قالهُ جودت باشا في تاريخهِ عن فتح القسطنطينيَّة وعن السلطان محمد الفاتح

واكتفى به. والظاهر ان السلطان لم يهتمّ بادئ بدء بفتح القسطنطينيّة بل جدّد عهود الصلح والصداقة مع امبراطورها وغيره من اصحاب البلدان المجاورة وكان صاحب اثينا قد توفي لما تولى السلطان مراد فبعث اليها باخ انطونيو اكسيأجولي الذي كان مقيماً في بلاطه فاحتفل به الاثينيون من الروم الارثوذكس وزادوا ولاء للعثمانيين. ووجّه السلطان همّهُ الى اسيا لان صاحب قرمان كان قد شقّ عصا الطاعة فاكان من الامبراطور قسطنطين امبراطور القسطنطينيّة الاّ انهُ طلب راتباً مضاعفاً للامير أورخان الذي كان اسيرًا عندهُ فاغتاظ السلطان من ذلك وعقد الصلح مع صاحب قرمان وارضى الانكشارية بالهبات لان عقد هذا الصلح حرمهم من الغنيمة وشرع في بناء قلعة على اضيق مكان في البسفور حيث لا يزيد عرضهُ على ٥٥٠ مترًا وهو المضيق الذي عبرهُ زركسيس ملك الفرس. وهذه القلعة المعروفة عند الاتراك بقلعة بوغاز كسن وعند الروم باليوكوبيون اي قطاعة الرؤوس حصن منيع سمك جدرانهِ ٢٥ قدمًا وارتفاعها ٦٠ قدمًا ويقابلهُ على الجهة الاخرى من البسفور الحصن الذي بناهُ السلطان بايزيد واسمهُ الاناطولي حصار فصار مضيق البسفور بين حصنين منيعين حتى يتعذر وصول المدد والميرة الى القسطنطينية من جنوى والبندقية

ولما رأى الامبراطور قسطنطين انهُ لا يستطيع المقاومة انحاز الى اللاتين وعزم على اعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية فارسل اليهِ البابا الكرديتال ايسيدور ومئتين من الجنود ورئيس الاساقفة ليوتارد. ورئيس الاساقفة هذا كتاب وصف فيهِ حصار القسطنطينية وكيفية فتحها. واحتفل باتحاد الكنيستين في الحادي عشر من شهر سنة ١٤٥٣ في كنيسة ايا صوفيا ودعي فيها للبابا وللبطريرك غريغوريوس. فاغتاظ اكليروس الروم الارثوذكس من الامبراطور واشتدّ الشجار بين الفريقين حتى قال الارشديوك لوقا نوتاراس امير البحر وقائد مدفعية الروم اننا نفضل ان نرى عمامة (السلطان) محمد في مدينتنا على ان نرى فيها تاج البابا. وكان للجنويين والبنادقة اموال واملاك كثيرة في غلطه وبيرا فساعدوا الامبراطور للدفاع عن مصالحهم وكان الجنويون قد حصنوا غلطه واقاموا فيها برجهم المشهور واتوا بسفينتين و ٧٠٠ جندي لمساعدته اما البنادقة فكانوا قد جددوا المعاهدة مع السلطان ولذلك امروا امير اسطولهم اوامر مبهمة حتى لا يؤاخذوا بنقض عهدهم اذا دارت الدائرة على الروم. واتت عشر سفن من سفن البابا لكنها لم تعمل عملاً يذكر

وزحف السلطان من ادرنة في الثالث والعشرين من شهر مارس سنة ١٤٥٣ الى ان صار على نصف ميل من القسطنطينية وكان معهُ في ما قيل ١٦٥ الفًا من الجنود ولم يكن

عند الامبراطور لمقاومة هذا الجيش الجرار سوى ٤٩٧٣ من الجنود اليونانية المسلحة و٢٠٠٠ من الغرباء من البندقة والجنويين والكريتيين والرومانيين والاسبانيين . ونصب السلطان اثني عشر مدفعاً كبيراً في الاماكن المشرفة على المدينة فجعلت تقذفها بالحجارة الكبيرة وثقل بعضها خمسة قناطير مصرية . واستيسل الامبراطور وجنوده ولكن بعض الرجال تبأوا لشعب ان الاتراك يبلغون عمود قسطنطين امام كنيسة ايا صوفيا ثم ينزل ملاك من السماء ويطردهم ويعدهم الى حدود بلاد الفرس فصدق كثيرون من الروم قولهم ولم يهتموا بالدفاع عن مدينتهم

وكانت النار اليونانية قد منعت السلطان اولاً من مهاجمة المدينة ولم يستطع ان يصل اليها بسفنه فجرّ السفن على البر ونزلها في المكان المعروف الآن بقاسم باشا وبثت جنوده المدينة ودخلتها عنوة ليلة التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٤٥٣ واعملت السيف في اهلها وقتل الامبراطور مع من قتل ووجدت جثته بين جثث اعوانه وكان السلطان قد عرض عليه التسليم وامنه على حياته فابى مفضلاً الموت في سبيل الدفاع عن بلاده وقطع رأسه ووضع على قنة عمود يوستنيانوس وقيل انه ارسل الى الولايات الاسيوية ليعتبر به ولاتها . وخلع الكردينال ايسيدور ثوبه الارجواني ولبس ثياب جندي من الجنود المتسولة فاسرع الذين اسروا . ثم هرب الى المورة ومنها الى البندقية وقصّ على اهالي اوربا ما اصاب عاصمة مملكة الروم . واحتشد الالوف من السكان في كنيسة ايا صوفيا فاسروا كلهم . قال احد مؤرخي اليونان انه لو نزل ملاك من السماء حينئذٍ وخيّرهم بين اتحاد الكنيستين والوقوع في يد الاتراك لفضلوا الثاني على الاول

ووصل خبر هذا الفتح الى الديار المصرية بعد نحو ستة اشهر قال ابن اياس في حوادث ذي القعدة سنة ٨٥٧ "وفيه وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان يخبر السلطان (١) بفتح القسطنطينية العظمى وقد صنع المكايد في فتحها وكان الفتح في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الاولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ) فلما بلغ ذلك دقّت البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة ثم ان السلطان عيّن برسباي امير اخور ثاني رسولاً الى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برسباي وتوجه الى بلاد ابن عثمان" . وقال في حوادث السنة التالية "وفيه (اي في جمادى الاخرى) قدم برسباي الذي توجّه قاصداً الى محمد بن عثمان وخلع عليه" . واكتفى ابن اياس بذلك ولم يزد . وهو يلقب صاحب مصر حينئذٍ بالسلطان واما السلطان محمد الفاتح فيكتفي بتسميته محمد بن عثمان ملك الروم

(١) اي سلطان مصر وانشام الملك الاشرف ابو النصر قايتباي الجركسي الظاهري

ونقل الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ المشهور ما خلاصتهُ " ان السلطان محمدًا الفاتح فشل في اول الامر وعزم على رفع الحصار عن القسطنطينيَّة وجمع وزراءهُ واستشارهم فاشاروا عليهِ بالاستمرار على الحصار وبعد ثلاثة ايام هجمت جنودهُ على المدينة وهدموا بعض اسوارها ودخلوها عنوة ووجدوا الملك قسطنطين قد دبس تحت الارجل من تزاحم الجنود وكان ذلك في السابع والعشرين من شهر ايار وكان ابتداء حصارها في شهر نيسان واطلقت يد الجنود للقتل والسلب والنهب ثلاثة ايام ثم امر السلطان بتأمين الباقين احياء وامر الاساقفة والقسوس ان يختاروا لهم بطريركًا جديدًا لان البطريرك الاول فريفوريوس كان قد ترك كرسيَّهُ ولجأ الى الكرسي الروماني فاختاروا الصالح الذكر جرجس شكولاريوس الذي كان قاضيًا وسمَّوهُ جنادیوس وامر السلطان فاحتفلوا بسيامتهِ كما كان يحتفل في زمن ملوك القسطنطينيَّة"

والظاهر انهُ ليس في العربيَّة تاريخ لفتح القسطنطينية كتب حين فتحها اما الاتراك فكتبوا تواريخ كثيرة في زمن محمد الفاتح استشهد بها كتبير في تاريخهِ المشهور وذكرها فون همر لكننا لم نرَها ولا رأينا ترجمتها واما الروم واليونان ففصَّلوا ذلك الشح تفصيلاً مسهبًا وقد جمع المؤرخ جبن الشهير تراريخهم وتخصَّ منها ما يملأ اربعين او خمسين صفحة من المقتطف ومما قالهُ فيها — ان الروم هم الذين احرجوا السلطان على فتح مدينتهم بحماقتهم فعوضًا عن ان يلزموا السكينة لكي يتسنى وجودهم بمثوا رسلهم وراءهم يتبعونهُ من مكان الى آخر ويطالبونهُ بزيادة الراتب المقرر للامير ارخان وكان الوزير خليل باشا مخلصًا لهم فسفَّهَ رأيهم وقال لهم "ايها الحمقى ان السلطان مرادًا الذي كان كثير التؤدة قد ترفق ونحن الآن بين يدي شاب شديد العزيمة قوي الشكيمة الفتح شيمتهُ ولا يقف شيء في طريقهِ فاشكروا ربكم اذا نجوتم من يدهِ. فان كنتم تحرجونهُ تخرجوهُ وتتهددونهُ باطلاق ارخان وجعله سلطانًا على رومانيا واستدعاء المجار من وراء الدنيوب وامم اوربا لمحاربتنا فانكم تقضون على انفسكم". اما السلطان فلم يتوعدهم بل طيَّب خاطرهم وقال لهم انهُ ينظر في طلبهم حال رجوعهِ الى ادرنه . ولما رجع امر بقطع الراتب وشرع في بناء الحصن المشار اليهِ آنفًا على خمسة اميال من القسطنطينية وجمع لبنائهِ الف بنَّاء وحاول رسل الامبراطور ان يصرفوهُ عن عزمهِ فاجابهم انهُ يبني الحصن في ارضهِ لا في ارضهم لان مملكة امبراطورهم صارت محدودة باسوار مدينتهِ ثم قال لهم ارجعوا واخبروا مولاكم اني لست مثل سلفائي وان مقاصدي لا تتوقف على مشيئتكم وانكم اذا عدتم اليَّ ثانية سلخت جلودكم

ولما عاد الرسل واخبروا الامبراطور بما سمعوا ورأوا عزم ان يشهر الحرب ويتبع تقدم

العثمانيين لكنّ رجاله صرفوه عن عزمه كأنّ ذلك يصرف السلطان عمّا قصده ومضى الشتاء والخطر محدق بالروم وهو يتعاظم يوماً فيوماً وهم نيام او متناومون

وشرع السلطان في بناء الحصن في السادس والعشرين من شهر مارس (اذار) وجعله مثلّث الجوانب وبنى ثلاثة ابراج على زواياه الثلاث وكان سمك جدرانها ثلاثين قدماً وسقفه بالرصاص وجلب حجارة الكنائس واعمدتها لبنائه . واطلق بعض فرسان الاتراك خيولهم في مزارع الروم حول القسطنطينيّة فرعت ما فيها من الزرع ووقع الشجار بين اصحابها واصحاب الزروع فهدمت المزارع وقتل اربعون من اصحابها . ورأى الامبراطور حينئذٍ ان الحرب صارت على قاب قوسين فاقفل ابواب القسطنطينيّة وكتب الى السلطان يقول اني القيت اعتمادي على الله لعلمه يلين قلبك و يصرفك عن عزمك والاّ فاني خاضع لمشيئته واحكم اليه وهو خير الحاكمين وما دمت حيًّا فاني ادافع عن شعبي واموت في الدفاع عنهم

اما السلطان فانهُ اتمّ بناء الحصن واقام فيه رقيباً يتقاضى جملاً من كل السفن الداخلة . وحاولت سفينة من سفن البندقية الدخول من غير دفع الجعل فاطلق الرقيب عليها مدفعاً اغرقها . وهذا المدفع من عمل اربان المجري سبكهُ للسلطان كما سبك غيرهُ من المدافع الكبيرة التي هدمت حصون القسطنطينيّة وسهلت فتحها . ونجا ربان السفينة وثلاثون من بحارتها في قارب نقيض عليهم وقيدوا بالسلاسل فقطعت رؤوس البحّارة وسلخ جلد الربان . وقد رأى المؤرخ دوكاس اجسادهم مطروحة للوحوش . وأخر حصار القسطنطينيّة الى الربيع التالي ولما حان الوقت استدعى السلطان وزيرهُ خليل باشا واخبرهُ بما عزم عليه . قبل انهُ استدعاه ليلاً فيرسل اليه بعد ان ودّع زوجتهُ واولادهُ واخذ معهُ الهدية المعتادة من الذهب على جاري العادة . وقدمها الى السلطان فقال لهُ السلطان ان هذه الهدية لا تكفيني وانا اطلب منك هدية اثمن واسنى اطلب منك القسطنطينيّة . فقال الوزير ان الذي سبك الجانب الاكبر من مملكة الروم لا يبخل عليك بالبقية الباقية منها فانت موفق الى ما تريد بعون الله وانا وكل عبيدك الامناء وقف على خدمتك . فقال السلطان لقد مضى الليل وجنني لم يذق الكرى فاياك وذهب الروم وفضتهم نحن اشد منهم بأساً واقوى عدةً وسنفوز عليهم بعون الله وجاه نبيه

ثم شرح المؤرخ جبن كيفية حصار القسطنطينيّة وفتحها والاعمال المنكرة التي عملت على اثر ذلك الفتح مما كرّه الينا قراءة التاريخ . وتولى السلطان محمد الفاتح وهو في الحادية والخمسين من عمره بعد ان استولى على المورة وطرابزون (وكانت امبراطورية) وتهدّد ثينا وحارب رودس واستولى على مدينة اترنتو من مدن ايطاليا

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن يراسلنا كلو . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

مقدمة الدكتور شميل

[نشرنا في هذا الجزء جانباً من المقالة العلمية الفلسفيّة التي انشأها الدكتور شميل ليجعلها مقدمة لكتاب شرح يخترعهُ على داروين الذي عزم ان يعيد طبعهُ . ثم بعث الينا بجانب آخر من تلك المقالة وطلب الينا ان ننشرهُ في باب المراسلة والمناظرة لكي يتجه اليهِ نظر المنتقدين ويبدوا رأيهم فيهِ لانهُ ضمنهُ رأياً علمياً ارتآهُ في سبب شفاء الامراض التي تشفى ولا تعود كالجدري والتي تشفى ثم تعود كالحمى الملاريّة والتي لا تشفى كالسرطان فارتأى ان الميكروبات التي تسبب الامراض الاولى انواع ثابتة والتي تسبب الامراض الثانية تبايينات متغيرة والتي تسبب الامراض الثالثة انواع ثابت في النوعية من الانواع الاولى . كما ترى فيما يلي]

لما كان القول بمذهب النشوء يستلزم ضرورة القول بمادية الكون لم يكن تقريرهُ من السهل لدى اصحاب المبدإ الحيوي لصعوبة تأييد التولد الذاتي بالوسائل التي لنا اليوم . وقد استمسك علماء النظر بهذا المبدإ استمساك الغريق بحبل النجاة . وبلغ التحمس في المناظرة بين الفريقين حدّاً حدثهُ بين سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر داروين فيها كتابهُ في اصل الانواع وسنة ١٨٩٠ وهي السنة التي بدأت جلبتهم فيها تخف . وكان جلّ اعتراضهم ان التولد الذاتي لم يثبت علمياً كأن هذا الاعتراض لا يجوز عليهم كما يجوز على سواهم . فان كان اصحاب النشوء لم يروا حيّاً نبت من غير حي فبل رأى اصحاب الخلق انساناً خُلق من غير انسان فكلاهما في جواز الاعتراض العلمي سواء مع الفرق بان هؤلاء يخالفون كل قضايا العلم في التحقيق والاستقراء بخلاف اولئك فانهم في كل قضاياهم متفقون مع العلم الطبيعي . ولو اقتصر اصحاب الخلق على الاستمساك بمذهب الخلق الكلي فقط لما اشتد النزاع بينهم

وبين اصحاب النشوء لزوم اتفاقهم بعد ذلك على تكون الاحياء وتحولها بقوى الطبيعة نفسها ولكنهم ابوا الاّ الامتساك بالخلق النوعي الذي يجعل كل نوع من الاحياء موضوع خلق خاص لينفردوا الانسان بذلك فصلاً تاماً ويجعلوه في مقام ممتاز لا في سلم التحول الراقي بل في نوع الخلق نفسه لئلا يكون وجوده على تلك الصورة نتيجة يترتب عليها مشاركته الذاتية لسائر المخلوقات وهم يريدون ان لا تكون له هذه المشاركة الاّ في الاعراض فقط تأييداً لشعائرهم من انهُ الغاية المقصودة بالذات والتي لاجلها خلق كل ما في الكون وهو قول لا يقبلهُ العلم اليوم

على ان هكل وهو من كبار العلماء الطبيعيين اكتشف في قاع البحار جسماً متضيأ يصح ان يكون حلقة الاتصال بين الجماد والحي ودليلاً على التولد الذاتي وقد أُطلق عليهِ اسم المونير وهو عبارة عن ابسط التركيبات الحية القائمة بنفسها ومهما يكن من ذلك ومن القول بالباثيبيوس ومن زعم آخرين ايضاً بانهم تمكنوا من احداث هذا التولد فحلّ مسألة النشوء الطبيعي لم يعد متوقفاً على ذلك بعد ما ثبت تحوّل القوى بعضها الى بعض وتحوّل المادة بها كذلك وتحول الاحياء نفسها تبعاً لناموس المطابقة كما ان حلّ مسألة الميولى لم يعد متوقفاً على رد العناصر كلها الى بسيط واحد. والوقوف عند ذلك بعد ما ثبت كل هذا الارتباط تعنُّت اذا جاز لاصحاب المذهب الواحد جاز اكثر لخصومهم

وقد تلا هتاف اصحاب المبدإ الحيوي جدًّا لما قام بستور واكتشف سر الاختمار. واثبت عليًّا انهُ ناشئ عن جراثيم اي احياء دنيا لا ترى الاّ بالمناظير المعظمة أُطلق عليها اسم المكروبات وايد قولهُ بالبرهان اذ منع الاختمار واوقف كل فساد بقتل الجراثيم في الجسم المختمر وصدها عن النفوذ اليهِ واكتشف بذلك طريقة التعقيم العليَّ وافرّ مذهب الجراثيم على اساس علمي متين. فزعموا ان اكتشاف بستور هذا قد جاء بالضربة القاضية على مذهب القائلين بالتولد الذاتي

على ان لياذ اصحاب المبدإ الحيوي بجراثيم بستور لم يفدهم شيئاً جديداً لاثبات مبدإهم او لدحض مذهب خصومهم وانما هذا الاكتشاف ابعد حل المسألة اذ اثبت ان الاحياء الدنيا اجسام تامة التكوين مختلطة التركيب قديمة العهد ليست الاولى في سلم الاحياء وان حل مسألة التولد الذاتي يجب ان يبحث عنهُ في ما هو ادنى منها مما قد تعجز عنهُ مناظيرنا المكبرة وقد يكون مونير هكل نفسهِ من الصور الراقية بالنسبة اليهِ

ولكن جراثيم بستور اذا كانت لم تفدنا شيئاً من هذا القبيل فقد افادت العلم فائدة كبرى اذ كشفت لنا عالماً كبيراً جدًّا في التاريخ الطبيعي لم يكن معلوماً لنا من قبل واثبتت

ان لهذا العلم اتصالاً شديداً بنا فدرسهُ اذن يفيدنا جدًّا لنعرف ما لهُ من المضار وما يجوز من المنافع لتطبيق ذلك على مصالحنا الاجتماعية زراعية كانت او صناعية او طبية . وقد كان لهذا الاكتشاف شأن عظيم جدًّا خصوصاً في علم الطب اذ اثبت ان الامراض ليست الا اختياراً وان سببها جراثيم فقلب كل المذاهب الاجتهادية التي كانت شائعة قبلهُ واقرَّ علم الباثولوجية على قرار مكين وتقدمت بهِ صناعة الشفاء تقدماً بيِّناً بتعرُّف طبائع الاحياء الدنيا والوقوف على الوسائل المقاومة لها . وعلى ذلك اكتشف بستور طريقة التلقيح العلمية بالمصل الشافي والواقي معاً وهي اعظم اكتشاف في علم الشفاء ختم القرن الماضي بهِ حسناتهِ وفي طليعة ذلك اهميةً وثبوتاً مصل الدفثيريا الذي اكتشفهُ تلامذتهُ بعدهُ والذي ينقذ كل سنة مئات الالوف من الاطفال من مخالب الموت المحتوم . واذا قلت طريقة التلقيح العلمية لا فصل بينها وبين طريقة التلقيح الواقي التجريبية التي اكتشفها اتفاقاً جنر قبل بستور بزمان طويل كما ان لستر كان اسبق منهُ الى القول بالجراثيم واعتبارها سبب التعفن واستعمال العلاج المعقم في الجراحة ولكنهُ قال قولهُ هذا بناء على التجربة لا على العلم الحقيقي فالفضل انما هو لبستور وحدهُ في اسناد ذلك كلهِ الى علم واسع الاكتشاف قوي الدعائم . على ان الفرع الذي استفاد من هذا الاكتشاف فائدة كبرى هو علم الميكروبيين اي علم منع الامراض والوقاية منها . ولو كانت نظامات الاجتماع اصلح مما هي اليوم لعرفت كيف تستفيد منهُ كل الفائدة المترتبة عليهِ ولخلصت كثيراً من الامراض التي لا تزال تفتك بالناس حتى اليوم فتكاً ذريعاً

وعدا ذلك فقد استفاد الطب من هذا الاكتشاف فائدة اخرى عظيمة ميكون لها شأن عظيم جدًّا في المستقبل متى توجهت الافكار اليها وهي ان علم الامراض صار بهذا الاكتشاف فرعاً من التاريخ الطبيعي داخلاً في مذهب النشوء والتحول فلا بدَّ من اطلاق نواميسهِ عليهِ : فقد كنا بالامس ندرس الامراض بظاهرها اي اعراضها ونعتمد في مقاومتها على التجربة واما اليوم فقد انفتح امامنا باب واسع لدرسها من حيث اسبابها الحقيقية ايضاً والاعتماد في مقاومتها على العلم ولقد خطونا في ذلك حتى اليوم خطوات واسعة ولكنها ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى ما سيفتحهُ علينا نظرنا فيها بهذا النظر وتمسكنا فيها بهذا الحبل الهادي

وكأن سائلاً من اهم مسائل الطب العلمية حلَّت بذلك او اوشكت . فقد كنا في الماضي لا نعرف كيف نعلل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف لماذا هذه الامراض تعرض كثيراً وتشفى كثيراً ولماذا غيرها لا يعرض الا مرة في العمر غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه

الامراض كالاحياء العليا انواع وتباينات وعلمنا كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جدًّا وان التباينات متغيرة كثيرًا لا تثبت زمنًا طويلاً انجلى لنا سر اختلاف سير هذه الامراض. فاذا كانت الامراض الميازمية كما يسمونها تمرض كثيرًا وتشفى كثيرًا فلان اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيرًا القليلة الثبوت. واذا كانت الامراض التفاطية تشفى وقلما تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالبًا ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة النوعية ايضًا فصفاتها اشد ثبوتًا لذلك. واذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليه سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوع من التكافؤ والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية متنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة

وعلى هذا العلم تترتب فائدة اخرى عملية لاستكشاف المصل الواقي والشافي معًا تقوي عزائمنا في بعض الامراض وترشدنا الى السبيل الاقوم في البعض الآخر فلا تدعنا نضيع الوقت عبثًا في محاربتهِ من حيث لا تجدي المحاربة نفعًا لعلمنا حينئذٍ ان نجاحنا انما هو في تحدي الطبيعة نفسها فحيثما لا تنجح هي فالاولى ان لا ننجح نحن فنصرف قوانا عن الممتنع الى سواهُ مما يكون ممكنًا ليكون اعتداؤنا اليهِ اذا نجحنا طريقة عمليَّة شاملة في اهم جدًّا من مكتشفات التجربة التي وان افادت كثيرًا احيانًا الاَّ انها لا تفيد فائدة عمليَّة حقيقية للتعويل عليها في العلم

وبناء على ما تقدم يمكن الجزم اليوم بان استكشاف المصل الشافي والواقي ممكن في جميع الامراض التي تشفى على اسلوب استحضار المصل الدفتيري وان صعب تعيينهُ في امراض الرتبة الاولى لقصر مدة المناعة فيها بسبب شدة تحولها واختلاط آفاتها ولكن ذلك اذا افقدهُ الفائدة الخاصة فلا يفقدهُ الفائدة العامة فيها للسبب عينهِ. ويجب ان يكون ممكنًا في الطاعون والهواء الاصفر ايضًا. ولا ينبغي ان يتولانا اليأس من استكشافهِ في الامراض الاخرى الحادة الخاصة. وهو ليس بالممتنع في الزهري وان كان صعبًا لبطوء سير هذا الداء ولعلهُ يمكن اذا عرف كيف يستخرج من المريض بعد هجوع اعراضهِ الثانوية هجوعًا تامًا. واما التدرن والجذام والسرطان فكيف يمكن ذلك فيها على نفس الطريقة المستعملة للوقاية من الامراض الاخرى وشفائها وهي نفسها لا تشفى فكأن ذلك على هذه الصورة ممتنع فيها فلم يكن بدٌّ من توجيه النظر الى مقاومتها من سبيل آخر. ومعلوم ان المرض تنازع بين الجسم والاحياء الدنيا المرضية. ومعلوم كذلك ان الامراض تختلف بحسب الاسنان والاحياء

المخلفة لاسباب يجب ان تكون في الجسم نفسهِ فاعل توجيه النظر الى هذه الجهة او الى سواها يسر لنا اكتشاف مصل من جنس آخر يعيد للجسم صفاتهِ المانعة او يكسبهُ هذه الصفات لمقاومة الامراض التي لا تشفى وجملة امم يضاً على الامراض التي تشفى . فالطب العلمي الحقيقي هو هذا لا طب العقاقير وسيكون لهُ في المستقبل شأن عظيم جداً الى ان يتيسر للاجتماع ان يعرف بنظاماتهِ كيف يستفيد من حسنات العلم فيسهل للطب غرضهُ الاول وهو العلاج المعي اقتل جراثيم الامراض في مكامنها وصدها عن التعلق بالجسم . — ولا انكر ما في القول المتقدم من الجسارة ولكنهُ قول مبنيٌّ على تطبيق مذهب التشوء على علم الامراض بناء على ما يعلم من ثبوت الاحياء في التنازع بحسب رتبتها في النوعية وكأن الواقع يؤيدهُ اليوم الدكتور شميل

إشكال وايضاح

حضرة الدكتور الافاضل

جاء في الصفحة ٩٢٥ من المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف ان معنى سياه كوش وقره قولاق الاذن السوداء والصواب اسود الاذن فان اشكال هذه التراكيب في اللغتين الفارسية والتركية اوصاف تركيبيَّة لاصفة ومرصوف فيقولون سياه چشم وقره گوز لاسود العين لا للعين السوداء . وفي الصفحة ٩٢٩ في ذيل ترجمة الفهد انهُ يوزو پارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارسجي كما كانت العرب تقول فهّاد . اقول ان پارس لفظة تركية وپارسجي كذلك كما يقال بوسعله جي وخانجي وليست بفارسية بل هي تركية جينكيزية بضورية والمعهود عندنا في حقها انها النمر اي پلنك لا الفهد اي اليوز وعليهِ فترجمتها نمّار لا فهّاد . وما قالهُ كاترمير من انها لفظة تركية فهو الصحيح وما تلناهُ من انها بمعنى النمر فمأخوذ مما ترجمهُ صاحب الزيجات الاخيرة كالزيج الخاقاني لنصير الدين الطوسي وقد الفهُ في زمان هلاكوخان المغول وزيج الوغ بيك التركي الكوركاني وغيرهم فانهم ترجموا پارس الواقعة اسماً لاحدى السنين التركية الدائرة على اثني عشر اسماً بالنمر اي پلنك وكذلك ترجمهُ الاحكاميون عند ذكرهم لاحكام دخول پارس پيل اي سنة پارس وكذا ترجمهُ في كتاب النصاب الفارسي المنسوب الى ابي نصر الفراهي التركي اللسان

هذا ما حضرني ذهني الآن ولا يحضرني شيء من الكتب اللغوية التركية لشتت الشمل والله يفعل في ملكهِ ما يشاء تبريز احد مشتركي المقتطف

[المقتطف] بعثنا برسالتكم الى حضرة منشئ المنارة التي اشرتم اليها فاجاب عنها بما يأتي وقفت على رسالة حضرة المعترض التبريزي الفاضل واجيب عليها بما يأتي

اولاً ان حضرتهُ مصيب في قولهِ ان معنى سياه كوش اسود الاذن وليس الاذن السوداء كما ذكرت وكنت اخذت ذلك عن محيط المحيط في باب نقد حيث عرّبها بالاذن السوداء فنقلت ذلك بالحرف الواحد . واني اشكر لهُ تنبيهي الى ذلك

ثانياً ان لفظة پارس لم ابحث عن اصلها وهل هي فارسية او تركية الاصل بل وجدت في " الالفاظ الفارسية المعرّبة " انها فارسية وفي كاترمير انها تركية فذكرت ذلك ولم ابدِ رأياً . ثم قلت " ان الفهد يوز و پارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارسي كما كانت العرب تقول فهّاد " وهو صحيح وان تكن اللغتان الاخيرتان تركيتين . وهذا تعريب ما جاء بهذا الصدد في ترجمة جامع التواريخ لكاترمير . قال " قلت آنفاً ان النمر الصغير المسمّى يوز عند الفرس يسمّى پارس عند الترك وقد اخذ الفرس عنهم هذه اللفظة كما جاء في كتاب فلرقامه قال (پارس شكار اپكن) وصيغت من هذه اللفظة كلمة پارسي وذكرها صاحب كتاب تاريخ وصّاف حيث قال (رسوم قوشجيان و پارسجيان) وفي كتاب جامع التواريخ (قوشجيان و پارسجيان در ولايت جانور كرفتند) " . وذكرها فولرس في معجمهِ الفارسي اللاتيني وفسرها كما فسّرها كاترمير . وقد علمت الآن من سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا مهدي خان التبريزي ان هذا التركيب تركيك بالفارسية والتآليف التي استشهد بها كاترمير كتبت لملوك المغول فدخلت عليها التراكيب التركية . وعليهِ يحسن ابدال العبارة المعترض عليها بما يأتي " والفهد يسمى يوز بالفارسية و پارس بالتركية الجغتائية والتركية العثمانية وكانوا يقولون پارسي كما كانت العرب تقول فهّاداً "

واما قول حضرتهِ ان پارس بالتركية الجغتائية هي پلنك بالفارسية ونمر بالعربية فغير نظر فالفرق بين الفهد والنمر لم يكن معروفاً تمام المعرفة عند كثيرين من الشعوب القديمة ولم يميز بينهما علماء الافرنج الاَّ في القرن الماضي لكن امرهما كان معروفاً عند الهنود والفرس والعرب وعندهم اسماء فارقة لهما منذ القديم ولدينا شواهد كثيرة على ذلك اذكر واحداً منها وهو ان احد الاكاسرة اهدى نمراً الى قيصر الروم فظنهُ هذا فهداً لتشابه الوصف فتغافل عنهُ نقتل غلاماً لهُ (مروج الذهب للمسعودي صفحة ٢٣٩ على هامش نفح الطيب) فلفظة پارس عند المغول قديماً كلفظة پاردس عند اليونان والرومان و پارد عند الانكليز والفرنسويين اطلقت بدون تمييز على عدة انواع من هذه الحيوانات وقد ذكرت شيئاً من هذا في باب الفهد

وهذا التغيير في اسماء الحيوانات كثير الحدوث كما سيأتي عند ذكر الرئم . فالشواهد التي اتى بها حضرتهُ حقيقية فلفظة پارس بلغة الايغور والقپچاق تطلق على النمر لكنها باللغة الجغتائية والعثمانية خصت بالبوز اي الفهد والبارسي هو الفهاد لا النمار . وهذا ما جاء في البرهان القاطع لحسين بن خلف التبريزي ترجمة السيد عاصم التتابي ويقال انهُ احسن المعجمات الفارسية التركية قال " پلنك خدنك وزنده قپلان تعبير اولنان يرتجى جانوره دينور . عربيده نمر دينور "اي پلنك على وزن خدنك حيوان مفترس يسمى قپلان وهو النمر بالعربية .وفي باب بوز ما نصهُ "و پارس تعبير اولنان جانور اسمدر عربيده فهد دينور" اي بوز حيوان" يسمى پارس وهو الفهد بالعربية . وفي تزهة القلوب نقلاً عن كاترمير ما تعريبهُ (عن القزوينية) " پلنك المسمى بالعربية نمرًا الخ . وبوزاو الفهد ويسمى بالتركية پارس حيوان شرس غضوب كثير النوم مولع بالصيد يتعلم بسهولة" والالفاظ التركية والعربية والفارسية نقلتها عن كاترمير بالحرف الواحد لانها مكتوبة بالحروف العربية . واعظم برهان ان پارس عند الترك هو المسمّى بوز عند الفرس فولم پارسجي اي فهاد وهو معلم الفهود ولا يمكن ان يكون نمرًا لان النمر پلنك لا يتعلم الصيد وقلما يستانس ولم يسمع ان احدًا صاد به والمشهور ان الحيوان الصائد هو ما يسمى بوز بالفارسية وجيته بالهندية وفهدًا بالعربية فهل كان الترك يصيدون بالنمر حتى قالوا پارسجي . وقد قيل عن ملوكهم ان الواحد منهم كان يقتني نحو الالف من الفهود (دائرة المعارف الانكليزية لفظة جيته) وذكر كاترمير ان الفرس سموا البوز جيته ايضًا نقلاً عن المنهود فالنمر والفهد كما قلت شبيهان في الظاهر وكلاهما منقطان وغلبت عليهما اسماء كثيرة في لغات كثيرة . لأ ان الفرس والعرب حافظوا على بوز وپلنك وفهد ونمر . والخلاصة ان لفظة پارس بلغة الايغور والقپچاق تطلق على النمر(پلنك) وباللغة التركية الجغتائية والعثمانية تطلق على الفهد (بوز) والفرق بين هذه اللغات عظيم . واما البارسي فهو الفهاد فقط على ما ارى

وفي الختام اكرّر الثناء على حضرتهِ لغيرتهِ على العلم ولانهُ نبهني الى اغلاط يجب اصلاحها في المستقبل فان الغاية من نشر رسائلي في المقتطف عرضها على الباحثين . ويسرّني ان اوّل النقاد جاء في كان من مدينة العلم تبريز ولاسيما في احوالها الحاضرة

وقد اطلع سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا محمد مهدي خان التبريزي على رسائلي هذه لانهُ اجهل الفارسيةَ فوافق عليها الدكتور امين المعلوف

غرائب الاحلام

سيدي اصحاب المقتطف الفاضلين

طالما مرّ على مسامعي من غرائب الاحلام ما كنت اعدّهُ من قبيل تلبك في المعدة وسوء الهضم الى ان ظننتُ ان لأرواح الناس رحلات ليلية بعد رقاد الجسد فتنتقل من بلاد الى اخرى وتشكر الواحدة الى الاخرى ما بها وتدور في البيوت وترى ما هو جارٍ فيها وعند اليقظة تخبر اصحابها بخلاصة رحلاتها

والآ ترجو منكم ان تطلبوا لنا سبب مطابقة الاحلام لحوادثها في الزمان والمكان كما في الاحلام التالية

(١) في الخامس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٠٨ عند مطلع الفجر ايقظتني امرأتي وقصّت عليّ ما خلاصتهُ

حلمتُ أننا زرنا بيت صديقنا الشيخ قسطنطين جحا في بشمزين بلبنان وكنا ننتظر ان نرى لمحة حسب العادة في استقبالنا لكننا لم نجد هذه المرة من ردّ علينا السلام وشاهدنا الوالد يأكل على مائدة والكدر بادٍ على محياهُ وناسٌ تروح وتجيء وانكل مظهرون الانهماك والارتباك الى ان اطللنا من نافذة البيت فرأينا الاخ الاكبر ميخائيل افندي جحا ملقىً على فراشهِ اشبه بالاموات. وهنا حدث حركة في البيت فاستيقظت امرأتي والانقباض آخذ منها مأخذهُ مما رأت ومضى على هذا الحلم ٥ ايام حيث وصلت البوسطة فتناولنا منها تحريرًا من الصديق داود افندي بشير تاريخهُ ١ تموز سنة ١٩٠٨ وفيهِ الفقرة التالية

" الشيخ قسطنطين جحا — هذه السنة افكارهُ متعوبة لان ميخائيل افندي مريض الدرجة اخيرة والآن تحسن غير ان حالتهُ لظهر غير محمودة للنهاية "

وميخائيل افندي هو نفس من قالت امرأتي انها رأتهُ مريضاً في حلمها فوقفت عند هذا مبهوتاً

(٢) وقبل وصول البريد بثلاثة ايام اخبرني اخي انهُ علم ان شقيقتي في سوريا رزقت ولداً ذكراً. وعند وصول البريد اخذنا تحريرًا من صهرنا يفيد ذلك تماماً

(٣) حلمت امرأتي في السنة الماضية ان شقيقتي رزقت غلاماً في كذا من شهر كذا وبعد قليل جاءنا تحرير فيهِ ان الشقيقة رزقت غلاماً في الشهر واليوم الذي عينتهُ في منامها

هذه ثلاث غرائب من الاحلام وقعت في بيتي كتبت بها اليكم طالباً حلها بما يدركهُ الفهم

(٢٤) اشكل عليَّ مرة حل مسألة فبقيت الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل ولم اهتدِ الى حلها الى ان اعياني الافتكار فرفدت وقلم الرصاص والورقة بجانبي وبعد ما بقيت نحو ثلاث ساعات نهضت مذعوراً لصوت حدث في البيت فوجدت اني اهتديت الى حل المسألة فقصصت هذه القصة على احد الاصحاب فعلّل لي التعليل الآتي قال

يحتمل ان يكون غيري في مكان آخر كان يفتكر في حل المسألة نفسها وقد حل شيئاً منها واشكل عليهِ امر كنت انا حللتهُ وهو حلّ ما كان اشكل عليَّ الى ان رقدنا وبعد الرقاد سارت الارواح بجولانها الى ان التقت روحي بروح رصيفي فتحادثنا وتطرقنا الى ذكر المسألة نفسها فاخبرت كل منها الاخرى ما كانت حلتهُ منها وبهذه الطريقة حلّت المسألة لدى روحي وروحهِ فقمت اعرفها تماماً فهل لكلام صديقي شيءٌ من الصحة او ما رأيكم في ذلك

كروزاد و دوسول بالبرازيل جرجي سرعي

[المقتطف] لا شبهة في غرابة الاحلام التي من قبيل ما ذكرتم ولكن اذا دقق المرء نظرهُ في روايتها والحوادث التي تشير اليها زالت الغرابة غالباً . كتبت الينا سيدة في اوائل الصيف الماضي وهي مسافرة في عرض البحر انها حلمت بان ابنة لها ولدت صبيًّا وقرأنا كتابها وبقي في ذهننا منهُ انها عينت فيهِ اليوم والساعة فجاء ذلك منطبقاً على يوم الولادة وساعتها وشرحنا في كتابة مقالة في هذا الموضوع وهي المنشورة في الجزء الثامن من السنة الماضية . ثم خطر لنا ان نقرأ الكتاب ثانية ونقابل بين ما فيهِ وبين يوم الولادة وساعتها فرأينا ان ما رسخ في ذهننا اولاً من قراءة الكتاب لم يكن على تمام الصحة لان السيدة لم تعين ساعة الولادة بل قالت ان الوالدة ولدت ابنها ليلاً وهي ولدتهُ صباحاً فكأنها عينت يوم الولادة فقط ولم يكن تعيينهُ صعباً جداً عليها بل كانت نسبة الاصابة فيهِ الى الخطإ كنسبة ١ الى ٢٦ والاصابة مرةً من كل ٢٦ مرةً ليست من الخوارق

اما الحادثة الاولى التي ذكرتموها فيحتمل فيها ان تكون زوجتكم قد سمعت عن مرض ابن الشيخ جحا من الناس اتاهم خبر مرضهِ لكنها سمعت الخبر وهي مشغولة بالحديث مع آخرين فلم تنتبه لهُ الاَّ ان الصوت يدخل الاذن على كل حال وقد يبقى تأثيرهُ في الدماغ سواء انتبه لهُ السامع او لم ينتبه فلما نامت التفت عقلها الى الاثر الذي بقي في الدماغ من سماع الخبر وبنى عليهِ الحلم المذكور . هذا احد الاحتمالات وقد توجد احتمالات اخرى تسهل عليكم معرفتها اذا بحثتم ودققتم

والحادثة الثانية تعليلها اسهل من تعليل الاول وهو انكم سمعتم ان شقيقتكم حامل فهدس

اخوكم بذلك وحلم انها ولدت ابناً وكان يخشى ان يخطئ ويحلم انها ولدت ابنة ونسبة الاصابة الى الخطإ كنسبة واحد الى واحد . ثم ان الرغبة في ان يكون المولود ابناً يرجح الحلم بولادة الصبي لا البنت

والحادثة الثالثة تشبه الحادثة التي ذكرناها نحن في مقالتنا المشار اليها آنفاً

والحادثة الرابعة تعليلها سهل وهو ان العقل يبقى يشتغل بما كان الانسان يشتغل به قبل نومه فيهتدي الى حل المسائل في النوم كما يهتدي اليها في اليقظة وقد يكون حلها اسهل في النوم لانتفاء الشواغل الاخرى حينئذٍ وانقطاع العقل اليها كما يغمض الانسان عينيه حينما يفكر في امر عويص او حينما يريد ان يحفظ شيئاً غيباً لكي يتجه عقله كله الى الموضوع الذي يفكر فيه . وتعليل صاحبكم لا وجه له لانه لا يعقل ان الروح تخرج من الجسد ويبقى حياً ولا حاجة بنا الى فروض لم يقم دليل على صحتها ولدينا تعليلات كثيرة معقولة

باب الزراعة

زراعة التبغ (الدخان)

تمهيد

لما منعت الحكومة المصرية زراعة التبغ في بلادها بنت هذا المنع على ان التبغ المصري (البلدي) غير جيد لا يستطيبه جمهور كبير من الناس بل يفضلون عليه التبغ التركي والكوراني والاميركي ولا يسهل اسداره من البلاد تبقى زراعته محصورة في فدن قليلة حسب مقطوعية القطر فليس من منع زرعه ضرر كبير ولكن هذا المنع يفيد الحكومة فائدة كبيرة لانها تفرض ضريبة كبيرة على التبغ الوارد من الخارج تستعملها في المصالح العمومية كأنها فرضت ضريبة على المدخنين تأخذها منهم وتعمل بها الاعمال العمومية التي تفيدهم وتفيد غيرهم كحفر الترع والمصارف واقامة الجسور والكباري والاعتناء بالصحة العمومية ونحو ذلك من الاعمال التي تعملها الحكومة . ويبلغ ايراد الحكومة الآن من جمرك التبغ نحو مليون ونصف من الجنيهات فاذا وجدت ان هذا الايراد يبقى على حاله او لا ينقص الاّ قليلاً باباحة زرع التبغ فلا شيء يمنعها عن اباحة زرعه

وقد اخبرنا احد الوجهاء انهُ عمَّل التبغ المصري (الدخان البلدي) ومنع منهُ سيكارًا مثل سيكار هاڤانا وعرضهُ على بعض الخبيرين بالتبغ فدخنوهُ واستطابوهُ وحسبوهُ من سيكار هاڤانا . وهو الذي عرض على الحكومة ان تعيد زراعة التبغ حتى اذا تعهَّد لها جمهور من المزارعين انهم يزرعون خمسين الف فدان ويدفعون ضريبة الفدان ثلاثين جنيهًا اجتمع لها من ذلك مليون ونصف من الجنيهات اي قدر ما تأخذهُ الآن جمركًا على التبغ الوارد الى القطر المصري . ومن رأي ذلك الوجيه انهُ اذا اعتني بزرع التبغ وتعليلهِ امكن اصدار مقدار كبير منهُ بعد ذلك . فاذا استطاع القطر المصري ان يصدر محصول مئة الف فدان وفرضنا غلة الفدان اثنتي كيلو وبيع الكيلو بخمسة غروش فقط بلغ ثمن الصادر من التبغ خمسة ملايين من الجنيهات واذا بلغت غلة الفدان اثني كيلو كما هو المرجح بلغ ثمن الصادر عشرة ملايين من الجنيهات

وكل ذلك ثابت مقرر لأن جودة التبغ البلدي حتى يساوي التبغ التركي او اليوناني او الاميركي قاذا ثبت بالتجارب ان التبغ البلدي جيد مثل غيرهِ لم تبقَ صعوبة في اباحة زراعتهِ واتساعها وكثرة ما يصدر منهُ

وتربة القطر المصري صالحة لزراعة التبغ ونموهِ وقد شاهدنا التبغ يزرع في لبنان حيث يعتنى بهِ اشد الاعتناء ولكننا لم نرهُ يبلغ هناك في نموهِ ما كان يبلغهُ على ساحل النيل في الجيزة قبلما مُنعت زراعتهُ فان ارتفاعهُ كان يبلغ ثلاثة امتار او اكثر وهذا لم نرَ ما يماثلهُ في اجود حواكير لبنان . واخبرنا غير واحد انهم استغلوا من الفدان الثني مئة فلا شبهة اذًا من قبيل النمو ولكن الشبهة من قبيل الجودة فان التبغ قد ينمو كثيرًا ويكون هشًّا لا طعم لهُ فلا يستطيبهُ شاربوهُ . ويقال ان البلاد الحارَّة التي يكثر شروق الشمس فيها ويقل الغيم لا يجود التبغ فيها فان كان ذلك صحيحًا فالقطر المصري ليس من البلدان التي يجود تبغها ولونهُ كثيرًا . ثم ان التبغ لا يجود الاَّ اذا كثرت املاح البوتاسا في الارض واملاح الجير وهي غير كثيرة في تربة القطر المصري

ومهما كانت الارض جيدة وصالحة لزرع التبغ ومهما نما التبغ فيها فهو لا يكون من التبغ الجيد الاَّ اذا عُمِّل تعليلاً مخصوصًا في قطفهِ وتجفيفهِ . وعسى ان يثبت بالامتحان ان التبغ المصري من اجود انواع التبغ فتنتشر زراعتهُ في هذا القطر ويكثر الصادر منهُ فتزيد بهِ ثروة البلاد . واذ قد تمهَّد ذلك نشرح كيفيَّة زرع التبغ وقطفهِ وتجفيفهِ على ما نعلم بالخُبْر والخَبَر

الارض الصالحة لزرعه

اصلح الاراضي لزرع التبغ الاراضي الطينيّة التي فيها قليل من الرمل الدقيق بالبوتاسا والجير (الكلس) والمواد النباتية لان في التبغ كثيرًا من البوتاسا والجير والمركبات النيتروجينيّة اي ان الارض الطينيّة المحلولة الاجزاء تكون صالحة لزرع التبغ اذا كثرت فيها المواد التي يغتذي بها كالبوتاسا والمركبات النيتروجينيّة واذا كانت هذه المواد قليلة فيها فلا بدّ من تسبيخها كثيرًا بالسباخ البلدي (الزبل) وهو من اجود انواع السباخ

كيفية زرع البزر (الشتاوي)

يزرع التبغ من بزره ويختار البزر من اجود انواع التبغ فيحسن بالحكومة المصرية ان تجلب البزر من هاتنا او من الاماكن التي يجود فيها التبغ في تركيا وبلاد اليونان . ويزرع التبغ صغير جدًّا كحبوب الرمل وهو يزرع اولاً في مسابك تختار من ارض جيدة جدًّا تركس اولاً وينعم ترابها وتمزج بالرماد او يبسط عليها القش ويحرق فيها حتى تمتزج برماده وتموت الحشرات منها ويحسن ان يكرر ذلك مرةً اخرى اي تمزق ثانية وتغطى بالقش ويحرق فيها . ويكون طول المسكبة ثلاثة امتار وعرضها مترًا او مترًا وربع متر حتى يسهل وصول اليد الى اطرافها ويحسن ان تكون تحت شجرة تظللها . ويمزج بزر التبغ بالرماد او بالتراب الناعم قبل بذره لكي لا تقع منهُ بزور كثيرة في مكان واحد . وتركس الارض قليلاً بعد بذر البذار فيها لكي يغطيهُ التراب ثم تسقى واذا نبتت الاعشاب بينهُ وجب اقتلاعها حالاً . ومتى صار ارتفاع نبات التبغ سبعة سنتيمترات الى عشرة يقلع ويزرع في مزارع التبغ

اعداد الارض

تحرث ارض المزارع جيدًا وينعم ترابها حتى تتخللها جذيرات النبات بسهولة فلا بدّ من حرثها مرارًا طولاً وعرضًا وتكسير ما يكون فيها من القلاقيل (التلع) . ثم تخطط خطوطًا عمقها نصف قدم والبعد بين الخط والخط ثلاث اقدام وتزرع الترقيدة (الشتل) في هذه الخطوط وبين النبتة والاخرى قدم ونصف او اكثر ولا بدّ من تسميد الارض جيدًا قبل حرثها الحرثة الاخيرة . واهالي سورية يسمدون الارض بزبل المعزى او يزربون المعزى في الحواكير التي يزرعون التبغ فيها حتى تسمد بزبلها

كيفية زرع الترقيدة (الشتل)

الترقيدة وتسمّى في سورية شتلاً هي النبات الصغير الذي يقلع ليزرع حيث يراد زرع النبات اخيرًا . ويختار لزرعها يوم رطب غير جاف الهواء . والزرع قرب الماء خير من الزرع

في الصباح حتى لا يشتد حر النهار على النبات بُعيد زرعه فيذبل كثيراً وقد يبس من شدة حر الظهيرة . ويجب ان لا يعلو التراب عليه حتى يغطي اوراقهُ ولا بدَّ من ارواء النبات المزروع مرةً بعد اخرى حتى ينمو اذا لم يروَ من المطر ولا بدَّ من الترقيع اذا يبس (نشف) بعض المزروع

الخدمة

حينما تظهر ورقتان او ثلاث من الاوراق الجديدة يقلب قليل من جانبي الخط على النبات بالفاس (معول صغير) ويكرَّر ذلك مرةً كل اسبوعين حتى تزول الخطوط كلها ويرتفع التراب حول اصول النبات . ولا يجوز هذا العزق اذا كانت الارض شديدة الرطوبة لئلاَّ تتماسك اجزاؤها حول اصول النبات . ولا يجوز ان يبقى شيءٌ من الاعشاب البرية في الارض التي يزرع فيها التبغ

خصي النبات

يبتدئ ازهار التبغ بعد زرعه بثلاثين يوماً الى اربعين يوماً واهالي اميركا يخصونهُ حينئذٍ اي يقطعون رأسهُ الذي يظهر الزهر فيهِ الاَّ النبات الذي يريدون اخذ التقاوي منهُ فيبقون ازهارهُ فيهِ . اما اهالي سورية فلا يخصونهُ بل يتركون زهرهُ فيهِ واذا خصي النبات لم يبقَ فيهِ سوى عشر اوراق الى ١٤ ورقة فتترك الى ان تبلغ اشدها من النمو

ومن قبيل ذلك نزع الفروخ التي تنمو في ابط الاوراق لانها تمتص غذاء الاوراق فتضعفها ولا فائدة منها . ويسمَّى هذا العمل تفريكاً في بعض انحاء لبنان

حشرات التبغ

يسطو على نبات التبغ ديدان تأكل ورقهُ وتاتهُ واهالي اميركا يطلقون الدجاج الرومي (الحبشي) في مزارع التبغ فتنقيها من الدود وهم يقتنونها لهذه الغاية . ولا بدَّ من تنقية الدود من مزارع التبغ مرتين كل يوم لان الدودة الواحدة قد تأكل اوراق الشجرة اذا تركت عليها اربعاً وعشرين ساعة

قطف التبغ

حينما يبلغ ورق التبغ يقطف ويبسط في الشمس حتى يذبل واهالي كوبا يقطعون النبات كلهُ ويعصبون قضباناً طويلة على العمدة متشعبة حتى تكون القضبان افقية ويقطعون الورق بسكين حادة حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين متصلتين معاً ويعصبونهما على القضيب الافقي حتى تركبا عليهِ ويضمون الورق الجيد وحدهُ وغير الجيد وحدهُ ويتركون الورق حتى

يذبل . وقد يضعون النبات كلهُ واوراقهُ فيهِ في الشمس حتى يذبل من الجانب الواحد ثم يقلبونهُ حتى يذبل من الجانب الآخر واعالي سورية يشكون ورق التبغ يخيط ويجففونهُ كذلك في الشمس او في الهواء في مكان ظليل حتى يذبل ويجف

ولا يجوز قطف التبغ قبلما يبلغ جيداً وهو يبلغ في نحو ثلاثة اشهر بعد زرعهِ من البزر ومتى بلغ يصير ملمس ورقهِ سمكياً ويضرب لونهُ الى الصفرة وتظهر فيهِ نقط وتلتوي حروف الورقة الى الاسفل ولا يقطف الورق والندى عليهِ

اما معالجة التبغ بعد قطفهِ فسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

ويظهر مما تقدم انهُ لا يسهل على الرجل الواحد ان يقوم باكثر من زراعة نصف فدان وان نفقات الزراعة والخدمة كثيرة جداً ولا نظن ان نفقات زراعة الفدان وتسميدهِ وخدمتهِ تقلُّ عن خمسة عشر جنيهاً فاذا كان مال الفدان ٣٠ جنيهاً وايجارهُ ١٥ جنيهاً كايجار اراضي الجزائر الجيدة ونفقات الزراعة والخدمة ١٥ جنيهاً بلغ مجموع ذلك ٦٠ جنيهاً فلا تفي الزراعة بالنفقات ما لم يبلغ محصول الفدان الف اقة على الاقل اذا بيعت الاقة باكثر من ستة غروش ولم يحصل تلف للزراعة من الدودة ولا من الآفات الجوية واما اذا حصل تلف فالخسارة كبيرة جداً لانهُ لا بدَّ من دفع الاموال والنفقات وهي تساوي ما يدفع عادة على عشرة افدنة . فاذا زرع رجل عشر اطيانهِ تبغاً وتلف محصولهُ خسر محصول اطيانهِ كلها . ولذلك فالحكمة تقضي ان لا يزرع احد الأ جانباً صغيراً من اطيانهِ تبغاً . واذا لم تتدبَّر الحكومة ذلك حين الترخيص بزراعة التبغ فقد تخسرُ القطر اكثر مما تنفعهُ

تقليم الاشجار

ان لم تكن الاشجار المثمرة قد قلمت فيجب ان تقلَّم الآن حالاً قبل ظهور البراعم الجديدة فيها فتقطع كل الاغصان المشتبكة حتى لا يبقى في الشجرة الاَّ الاغصان والقضبان التي تصل اليها اشعة الشمس ويجري بينها الهواء بسهولة ولا يجوز ان يبقى في الشجرة غصنان او قضيبان واحدهما يابس الاخر . ويمتنى وقت التقليم بمنظر الشجرة حتى يكون منتظماً

واذا لم تحسن الشجرة بعد تقليم اغصانها المتوالي فلا بدَّ من تقليم جذورها وذلك بان يحفر حول اصلها على بعد اربع اقدام منها حفرة تحيط بها عرضها نحو قدم وتقطع كل الجذور الصغيرة التي تعترض هذه الحفرة بمقص الجناين او بسكين ماضية فان الجذور الصغيرة اي التي لا جذيرات كثيرة فيها لا فائدة منها للشجرة وانما الفائدة من الجذور التي فيها كثير من

الجذيرات الصغيرة . وبهذا العمل يوتد الخشب الى الشجرة وتصير كثيرة الثمر

قال بعضهم كان عندي شجرة تفاح لم تكن تحمل سوى اربع تفاحات في السنة فحفرت حول جذورها في شهر فبراير الماضي وقطعت كل الجذور الصغيرة منها فلما كان اكتوبر الماضي قطفت منها نحو ستمائة تفاحة . ويحسن بعد طمر الحفرة ان يبسط السباخ البلدي (الزبل) حول الشجرة لكي يغذيها ويمنع البرد عن جذورها اذا كانت البلاد باردة

غرس الاشجار

الحفر التي تحفر لغرس الاشجار يجب ان تكون واسعة حتى تنبسط الجذور فيها على هيئتها ولا تلوى . ثم تغطى بالتراب الناعم عن وجه الارض وتطمر جيداً

موسم القطن

يظهر من قلة الوارد من القطن الى الاسكندرية هذا العام ان الموسم قلما يزيد على ستة ملايين وربع مليون قنطار فينقص عن الموسم الماضي نحو مليون قنطار وهو نقص كبير جداً لذاته فوق نقص الثمن وهذا مما اوقع اصحاب الاطيان في ضنك شديد ولذلك احسنت الحكومة صنعاً في اهتمامها بارجاع زراعة التبغ الى القطر المصري لان هذه الزراعة اذا نجحت فربحها كبير جداً يسد مسدّ ما ينقص من موسم القطن

اصل القطن العفيفي

قال المستر بولار نباتي الجمعية الزراعية الخديوية ان السر وليم ولككس اخبره عن كيفية تولُّد القطن العفيفي في القطر المصري وهي ان القطن القديم الاسمر الذي كان يزرع في مصر (ولعلَّهُ القطن الاشمُّوني) زرع في جزيرة في بلدة ميت عفيف على فرع دمياط وارض هذه الجزيرة رملية لخصرها ماء النيل وقد رآها مغمورة سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٧ وكانت نتيجة انغمارها بالماء ان الزارعين لم يتمكنوا الاَّ من جمع اللوزات التي تفتحت بدرياً والسبب في تفتيحها قبل غيرها راجع اما الى خاصيَّة في بعض النباتات لتتفتح قبل غيرها او الى مؤثرات اخرى ومن تلك اللوزات كان يؤخذ البذار (التقاوي) للسنة التالية وباستمرار انغمار الجزيرة واخذ التقاوي من اللوز البدري تكاثر هذا الصنف من القطن وهو القطن العفيفي ولكن الذين يذكرون العفيفي القديم والعفيفي الحالي يقولون انهُ تغيَّر عن اصله وفقد

خاصة التفتيح البدري التي كانت لهُ وسبب ذلك اختلاط بزوره ببزور غيره من القطن وتلقح بعضها من بعض وزد على ذلك ان القطن العفيفي لم يكن نقيًّا اي لم يكن كلهُ حاويًا على الصفات الجديدة التي تولَّدت فيهِ بل كان بعضهُ حافظًا لصفاتهِ القديمة اي تأخر البلوغ فعاد الى اصلهِ وهذا السبب الاخير كان لعود العفيفي الى اصلهِ ثم قال ان الطريقة الاسهل للحصول على صنف من القطن ينضج باكرًا هي انتقاء اللوزات البدرية التفتيح واخذ البذار (النقاوي) منها فقط . وهذه الطريقة تفيد ايضًا في منع انتشار القطن الهندي اذا اخذت النقاوي من الجمة الاولى لان القطن الهندي لا ينضج باكرًا فالجمة الاولى تكون خالية منهُ

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

زراعة البصل والبطيخ والباميا والملوخية

البصل — يزرع البصل في كل انحاء القطر المصري ما عدا جهات طيبة العليا ونواحي الدلتا السفلى . فتحرث الارض اولاً ثم تسوَّى بجذع نخل وتقسَّم الى مربعات بنفقة قليلة

ويزرعون البصل في الاراضي التي تروى مباشرةً بمياه الفيضان بعد استغلال الحنطة والبرسيم وسائر الحبوب فيحفرون اثلامًا صغيرةً يلقون فيها البذار (النقاوي) . ويمكن لعشرة افقار ان يتموا ما يلزم من العمل لزرع فدان في يوم . فيزرعون فيهِ ١٫٥ من الاردب بزرًا . واذا كانت الارض التي يزرع فيها مرتفعة يسقونهُ كل اسبوع مرةً

وبعد ٥٠ او ٦٠ يومًا من زرعهِ ينقلون البصل الى غيط آخر يكون قد حُرث ثلاث دفعات . وما ينقلونهُ من فدان واحد يكفي لزرع اثني عشر فدانًا

ويقلعون البصل اخضر في اوقات مختلفة وياسًا بعد نقلهِ بثمانين او تسعين يومًا

وتبلغ غلة الفدان من ٢٠ الى ٣٠ اردبًّا يباع الاردب منهُ بثلاثة فرنكات في اسيوط والمنيا ويبلغ ثمنهُ ٦ فرنكات في ضواحي قنا من حيث يصدَّر منهُ جانب عظيم الى بلاد العرب بطريق القصير . وتؤخذ الضرائب على البصل نقدًا بمعدل عشرين فرنكًا على الفدان

البطيخ — يزرع البطيخ في جزائر النيل وعلى شواطئهِ بعد انكشافها في زمن التحاريق . وفي اكثر الاماكن تكون هذه الشواطئ كمنحدرات كثيرة الميل مغطاة بطبقة من الرمل الناعم . فيزرعون البطيخ ضمن حفر يحفرونها فيها متحاذيةً قائمة الزوايا طول الحفرة منها متر وعرضها عشرون سنتيمترًا وعمقها كاف لحفظ رطوبة الماء الذي يتقلَّب اليها من الداخل او

او يجرّ اليها من النيل . ويتقون سفي الرمال على مزروعات البطيخ في بدء نموها بحواجز من القش تدفع عنها الرمال وتقيها حرّ الشمس معاً . وتنتج كل نبتة عادةً ثلاثة رؤوس او اربعة

وفضلاً عن الجزر وشواطىء النيل يزرع البطيخ احياناً في الاراضي الواطئة المجاورة للترع حيث تبتدئ زراعتهُ في اوائل فبراير فيحفرون حفراً متباعدة بعضها عن بعض يضعون في كلٍّ منها حفنة من زبل الحمام يتركونها مكشوفة نحو عشرة ايام ثم يزرعون التقاوي بمعدل ½ من الاردب للفدان

وقد يبلغ جنى الفدان من البطيخ ٩٦ فرنكاً ويهبط احياناً الى ١٢ او ١٥ فرنكاً ويجود البطيخ في لسان الارض الفاصل بين بحيرة البرلّس والبحر المتوسط حيث يزرعهُ اهالي قرية بلطيم بمقادير كبيرة ويبيعونهُ في الاسكندرية ورشيد ودمياط وخلافها

الباميا والملوخية — تزرع الباميا مرتين في السنة احداهما في مارس والاخرى في يوليو وغلة الفدان منها في جهات قنا من ٦ غروش الى تسعة يومياً مدة ثلاثة اشهر

وتزرع الملوخية في ازمنة واماكن مختلفة وغلة الفدان منها يومياً نحو ستة غروش الى سبعة ويبلغ مال البساتين التي تزرع خضراً وبقولاً من ١٦ فرنكاً الى ١٩ فرنكاً سنوياً

وتقضي زراعة النباتات البستانية بالتعب الدائم في سقيها والاعتناء بها فتزيد بذلك نفقاتها

عجز الصادرات الزراعية

انتهى العام وظهر العجز الكبير في قيمة صادراتهِ فقد بلغت ٢١ ٣١٥ ٦٧٣ جنيهاً وكانت في العام الذي قبلهُ ٢٨ ٠١٣ ١٨٥ جنيهاً والفرق بينهما ٦ ٦٩٧ ٥١٢ اي نحو ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات المصرية . واليك جدول اهم الصادرات وما في قيمتها من العجز

	سنة ١٩٠٧	سنة ١٩٠٨	الفرق
القطن	٢٣ ٥٩٧ ٨٤٤	١٧ ٠٩١ ٦١٢	٦ ٥٠٦ ٢٣٢
بزرة القطن	٣ ٥٥٥ ٠٦٧	٢ ٤٧١ ٠٠١	٨٤ ٠٦٦
الكتان	١٠٣ ٩٧٦	٥٣ ٦٤٦	٥٠ ٣٣٠
البيض	٩٩ ٤٩٩	٨٥ ٦٦٥	١٣ ٨٣٤
الفول	١٩ ٦٤٥	٩ ٧٩٣	٩ ٨٥٢

وزادت قيمة الصادر من البصل ٣٦ ٤٠٨ جنيهات ومن السكر ١٨ ٠٤٣ جنيهاً . ونقصت قيمة الصادر من الشاي والصمغ العربي ولعلّ سبب ذلك كثرة صدورها من بورت سودان

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نشرح فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

طحن القمح

ضمنا منزل مع جماعة من الادباء فتجاذبنا اطراف الحديث واستوقفني سؤال لاحدهم وهو لماذا يكون الدقيق المطحون بوابور ذا لون ابيض والزوجة ويزداد حجمهُ حين عجنهِ ولهُ طعم وخواص مميزة لهُ عن المطحون في وابور آخر . فالعامة تعلل ذلك بلون الحجر اي اذا كان لونهُ ابيض كان دقيقهُ ابيض والضد بالضد

اما الحقيقة العلمية فتغير ذلك وقبل بيان السبب يلزمنا ان نعلم كيفيَّة تركيب الدقيق فدقيق القمح الجيد لونهُ ابيض مائل الى الاصفرار ناعم عند اللمس اما التجاري الوارد من الخارج فاغلبهُ مخلوط بدقيق البطاطس والرز وغيرهما من الحبوب والبقول التي هي ارخص من القمح . ولفحص هذا الدقيق يكفي ان يرى بالنظارة المعظمة فان حبيبات كل دقيق تظهر مختلفة الحجم والشكل عن نظيراتها لا سيما اذا بلَّت بالماء وايضاً اذا عولجت باليود فيظهر لكل دقيق لون يختلف عن الآخر . اما التحليل المنزلي فيدل على ان الدقيق مكون من دقيق ناعم ونخالة واما التحليل الكيماوي فيدل على ان فيهِ مواد آلية متعادلة بنسبة ٧ في المئة الى ١٥ في المئة كالجلوتين والالبومين (الزلال) والنشويين والكاسين . ومواد متعادلة غير محتوية على الازوت كالنشا والدكسترين والجلوكوز

وفي تخاليطهِ اولاً مواد دسمة وزيوت عطرية خصوصية . وثانياً املاح معدنية كفصفات الجير وفصفات الماغنيزيا واملاح البوتاسا ومواد نشوية

فالجلوتن مادة لزجة مرنة غذائية وهي تحتوي على عدد كبير من الحبيبات المجتمعة بعضها مع بعض في شكل الياف داخلها جلوتينين والبومين وسكر ولعاب نباتي ونشاء

والالبومين مادة هلامية بيضاء وهي التي يتكون منها زلال البيض ومصل الدم والشعر والاظافر والغضاريف وتدخل في تركيب العين والمخ وهي التي تعطي للدقيق الخواص والمزايا المطلوبة آنفاً

والفيرين مادة بيضاء صلبة او سنجابية عديمة الطعم والرائحة مرة وهي تدخل في تركيب الدم وتكوين لحم العضلات

والكاسين مادة بيضاء عديمة الطعم والرائحة وهي التي تجمد من اللبن وتصير جبناً

والنشاء مادة بيضاء توجد في الحبوب والبطول وتركيبها فيهما واحد . وهي التي تعطي الدقيق لونهُ الابيض

والدكسترين مادة بيضاء مائلة الى الاصفرار السنجابي تحصل من النشاء اذا سخن الى ١٦٠ وتركيبها كتركيب النشاء اذ تركت عجينة النشاء تتخيل الى دكسترين خصوصاً في فصل الصيف الحار

والجلوكوز من الدكسترين المعالج بالحامض الكبريتيك المركز . وكلٌّ منهما مغذٍّ والنخالة مقلبة ومساعدة على نمو العظام لاحتوائها على الفصفات والاملاح

ومن هذا يرى ان العجين ذا العرق هو الذي في دقيقهِ مادة الالبومين والنشاء بنسبة اكثر مما هما في الدقيق الذي ليس لهُ عرق والسبب في ذلك سرعة ادارة حجر الطاحون عن المائة دورة في الدقيقة الواحدة لانهُ بازدياده يزداد الاحتكاك والحرارة فيجمد جزء من الالبومين وتعدم خواصهُ ويتخيل بعض النشاء الى الدكسترين وهذا هو السبب في الفرق بين دقيق الطاحونين . ولهذا قد استعمل من زمن نوع من طواحين الغلال لا يسخن الدقيق وتطحن فيهِ الحبوب باسطوانات من الفولاذ ولكن دقيقها قليل فقل استعمالها مع ما لها من المزايا الميكانيكية والفوائد الكيماوية فايق جرجس

مهندس محل سڤيتمان وماردي

الملح في الطعام وضررهُ

الشائع ان الملح ضروري للطعام وكل طعام يملح يملح وان الانسان لا يعيش من غير ملح ولقد كنا نسمع في صغرنا قصصاً يقال فيها ان قوماً من الاسرى اجبروا على اكل طعامهم من غير ملح فتولد الدود في ابدانهم وقتلهم . وهذه القصص موضوعة فان بعض هنود شمالي اميركا لم يكونوا يملحون طعامهم بالملح ولا يزال جمهور منهم يعيش من غير ان يملح طعامهُ . وكثيرون من سكان اواسط افريقية لا يملحون طعامهم . والناس الذين يملحون طعامهم متفاوتون جداً فبعضهم لا يأكل شيئاً الاَّ وفيهِ كثير من الملح وبعضهم يكره الملح حتى في الطعام الذي لا يؤكل عادةً الاَّ مملحاً بهِ . ونحن نعرف كثيرون لا يأكلون الموز ولا التفاح ولا البرتقال الاَّ

وهي مملحة بكثير من الملح مع ان اكثر الناس يأكلون هذه الاثمار من غير ملح او مدردرًا عليها السكر بدل الملح

والظاهر ان استعمال الملح عادة يعتادها المرء فيصير يشعر بالحاجة اليهِ والحيوان قد يعتاد اكل الملح كما يعتادهُ الانسان فيصير يستطيبهُ ويفتش عنهُ ولكنهُ اذا لم يعتدهُ لم يعبأ بهِ فترى المواشي التي اعتادت لحس الملح تستطيبهُ جدًّا والمواشي التي لم تعتدهُ لا تلتفت اليهِ والاولى ليست اصلح من الثانية

والملح مهيج للغشاء المخاطي فاذا اذبتهُ بالماء ومصصتهُ بانفك كثر افراز المخاط منهُ فهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الانف فاذا اكثر الانسان من استعمال الملح فلا بدَّ من ان يصيبهُ منهُ زكام مزمن في معدتهِ وامعائهِ . والمقدار الكبير من الملح مقيءٌ وسهل لهذا السبب عينهِ . ويقال ان بعض امراض القلب والكليتين مسبب عن الاكثار من اكل الملح ولذلك يستفيد المصابون بامراض الكليتين من الاقتصار على اكل اللبن لانهم يمتنعون بذلك عن اكل الملح وهذا هو السبب في فائدة الاقتصار على اكل العنب

ولا دليل مطلقًا على ان ملح الطعام لازم للهضم لان الطعام يهضم بدونهِ وفي الاطعمة الطبيعيَّة ما يكفي من الاملاح . وقد قدَّر بعضهم ان الملح الذي يجوز ان يأكلهُ الانسان في اليوم يجب ان لا يزيد على ثلاثين قمحة فاذا زاد على ذلك اضطرت الكليتان واضطرَّ الجلد الى افراز الزيادة . فالقليل من الملح مفيد ولكن الكثير منهُ ضار

ثم ان الاكثار من الملح يدعو الى العطش كما لا يخفى لان الملح يجتذب السوائل من الجسم ليشعر بالحاجة اليها

والخلاصة ان الاكثار من الملح لا يخلو من الضرر والاقلال منهُ لا يضرُّ بل ينفع

السكَّر ومضارهُ

السكَّر طعام مفيد جدًّا اذا كانت كميتهُ معتدلة ولكنهُ اذا زاد عن الاعتدال زاد ضررهُ على نفعهِ . ومن نتائج الاكثار منهُ السمن الزائد وحصاة المرارة واليرقان وامراض الكبد والبول السكري ومرض يربط وسوء الهضم وتمدُّد المعدة ولاسيما اذا بلع السكر قبل ان يمزج باللعاب المزج الكافي . ولكن اذا أكل السكر بالاعتدال ومزج باللعاب جيدًا قبل ازدرادهِ فلا ضرر منهُ . ولا بدَّ من مزج السكر والاطعمة السكرية باللعاب جيدًا سواء كان السكر كثيرًا او قليلاً والاَّ حمض في المعدة واضرَّ بالصحة وسبَّب اضطرابًا في الكبد والكليتين وزكامًا

في المعدة وانتشر الزكام منها الى كل الاعشية المخاطية في الحلق والانف والعينين والشعب والكبد . وما قيل عن السكر يقال عن الاطعمة النشوية على انواعها فانها كلها تضر اذا زادت عن الحاجة او لم تمزج باللعاب جيداً

وما يقال عن السكر الاهليلجي اي سكر العنب لا يقال عن سكر الاثمار اي المادة الحلوة التي في الاثمار الناضجة كالعنب والتين والتفاح لان سكر الاثمار سهل الهضم ولا ضرر منهُ . والمصابون بمرض البول السكري يمكنهم ان يأكلوا الاثمار الحلوة ولا يضروا منها لان الجسم يمتص سكر الاثمار بسهولة

وكذلك العسل ينفع ولا يضر وهو انفع انواع السكر الطبيعية ولذلك فالذين يجدون من انفسهم ميلاً شديداً الى اكل الاطعمة المحلاة بالسكر الكثير يستطيعون ان يأكلوا بدلاً منها العنب والتين والتمر والزبيب والعسل وان يقللوا من السكر ويمشوا بمضغهِ حتى يمتزج باللعاب جيداً فيزول ضررهُ

باب التقريظ والانتقاد

كتاب مشهد العيان

بحوادث سوريا ولبنان

لما كتبنا تاريخ الجزار وابرهيم باشا اشرنا الى كتاب كتبهُ المرحوم الدكتور ميخائيل مشاقه واقتبسنا جانباً كبيراً منهُ في ذينك التاريخين وفي رواية امير لبنان التي ألفناها والحقناها بالمقتطف . وقد اقتصرنا في كل ما اقتبسناهُ على ما نظن ان المؤلف رحمهُ الله كان يود نشرهُ لو بقي حياً الى الآن لانهُ قد يكون بين ما يكتبهُ الانسان في مذكراتهِ لعائلتهِ وبين ما يسمح بنشرهِ للملايين كثير . وما كل ما يخال يقال ولا كل ما يكتب في الاوراق يحسن نشرهُ في الآفاق . والظاهر ان نسخة من ذلك الكتاب وقعت لحضرة الاديبين ملحم افندي خليل عبده واندراوس افندي حنا فجاشيري فطبعاها وسمياها مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ويظهر لنا انهما حذفا من الكتاب اموراً حرية بالذكر كوصف ما عانتهُ عائلة مشاقه بعد نكبة الجزار لها وابقيا فيهِ اموراً حريةً بالحذف في حوادث دمشق ولبنان

كتاب ثمار القلوب

في المضاف والمنسوب

من تأليف ابي منصور الثعالبي طبع حديثاً بمطبعة الظاهر بمصر

لما تناولنا هذا الكتاب لتقريظهِ قرأنا بعض فصولهِ فاعجبنا ما فيها من الفوائد التي يعزُّ الوقوف عليها في غيرهِ الى ان وقع نظرنا على الصفحة ١٢٣ وقرأنا بعض ما فيها فطرحنا الكتاب من يدنا واستغفرنا الله على ما نشرناهُ في المقتطف من ترجمة الخليفة المأمون في الجزء الخامس من السنة الماضية وقلنا ابن احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربيَّة في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ. ويا طالبي الكتب العربيَّة ناشدكم الله ان تعدلوا عن نشر هذه القبائح فانا من احوج الناس الى لسيانها

رحلة الحبشة

هذا الكتاب من انفس الكتب التي وقع نظرنا عليها في هذه الاثناء وهو رحلة الفريق صادق باشا العظم الى بلاد الحبشة موفداً من قبل الحضرة السلطانية بهدية الى امبراطور الحبشة. والظاهر انهُ وضعهُ باللغة التركيَّة وعربهُ ابن عمهِ رفيق بك العظم وحقي بك العظم وقد جمع المؤلف فيهِ وصف الطريق وما رآهُ فيها من البلاد والمناظر الطبيعية ومن لقيهم من الرجال والنساء واسهب في وصف اديس ابابا عاصمة الحبشة وامبراطورها ورؤساء رجالهِ وتاريخ بلاد الحبشة من اول عهدها الى الآن. واورد كل ذلك استطراداً حتى كدنا نقرأ الرحلة كلها ونحن لا نقصد الاَّ ان ننظر فيها نظرة عامة لتقريظها، وقد شاقنا ما فيها من وصف مدينة هرر وقصر الراس ماكونن قال ان المدينة مكتنفة من كل جوانبها بالرياض الغناء والاكام الخضراء فهي تشبه دمشق الشام او تشبه قصراً كبيراً قائماً في وسط حديقة واسعة الاطراف ويزرع في حدائقها قصب السكر والموز والبن والعنب والليمون والبرتقال والقرع والخيار والباذنجان والفلوبياه وما اشبه ولكل منزل فناء واسع مكشوف وفيهِ الاشجار الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فتزين منظر المدينة وتزيد في رونقها

ويبلغ سكان المدينة ٤٠٠٠٠ نفس المسلمون منهم ٣٥٠٠٠ والباقون خليط من الاحباش والافرنج والارمن والروم ويظن الانسان لاول وهلة ان الحر فيها شديد جداً

لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ متراً عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل هواءها معتدلاً لطيفاً جداً وقد قال لي القناصل الذين هناك ان درجة الحرارة لا تتجاوز الستة والعشرين في فصل الصيف لان هواءها يعتدل بسقوط الامطار الغزيرة كما يعتدل برد فصل الشتاء بحرارة الشمس. وفصل المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الحبشية هو الصيف اما فصل الشتاء فلا يقع فيه مطر ويبتدئ وقوع المطر في مايو وينتهي في اواخر سبتمبر وبلغ اغزره في يونيو ويوليو واغسطس

وبعد ان اسهب في وصف السكان ومتاجرهم واسيلاء الاحباش على هرر انتقل الى وصف القصر الذي نزل فيه ضيفاً وهو قصر الراس ماكونن فقال انه مشيد في اعلى نقطة من المدينة وليس بين ابنيتها ما يماثله في الضخامة والانتظام والمتانة وهو ثلاث طبقات من الحجر وفيه كثير من الغرف والبهوات والشرفات يضاهي في شكله منازل الاستانة واوربا وغرفه متسعة ونوافذها صغيرة بالنسبة الى اتساع الغرف لكي لا يكون النور الداخل منها زائداً عن اللزوم وقد طليت الغرف من الداخل بالنقوش والالوان غير الزاهية وفرشت بالطنافس الشرقية ووضعت في بهو الاستقبال الكراسي ذات الايدي والمتكئات والموائد وفي صدر الغرفة رسم الامبراطور منليك مرفوعاً تحيط به الاعلام الحبشية وعلى اطراف القصر فضاء واسع سوّر جعل قسم منه حديقة والقسم الآخر الى الجهة الامامية ترك كفناء للقصر

ووصف المراحل مرحلة مرحلة وما لقيه فيها الوفد السلطاني من الحفاوة والاكرام فان الامبراطور كان قد امر السكان ان يحتفلوا بهذا الوفد جهدهم فكانوا يأتونه بكل ما يحتاج اليه من مواد الطعام والشراب كالدجاج والبيض والاثمار وهم يحسبونها من الاموال الاميرية التي تدفع للحكومة. والبلاد على غاية الخصب مروجها وتجودها والمزروعات على غاية النماء قال في وصف مرحلة بككا: — قمنا اليوم (١٧ مايو) باكراً وبينما كنا نشرب القهوة ونتناول المرق ونسرح الطرف في تلك الحقول البديعة التي تحاكي الجنان ونتأمل في طلوع الشمس اذ رأينا سرب نساء من القالا يبلغ عددهن العشرين سائرات في الحقول البعيدة وصوت غنائهن واصل الينا وبعد السؤال علمنا ان هؤلاء النسوة ذاهبات الى اشغالهن في الحقول وفي هذه الاثناء اشرقت الشمس من وراء الاكمة ونشرت اشعتها النيرة على نسيم الصباح الرطب فكان المنظر بين جمال الهضاب الزمردية وشروق الشمس وغناء النساء بهيجاً بديعاً لا يستطيع وصفه الا الشاعر البليغ او المصور الماهر

ثم قال وبعد ان سرنا مرة في اراضٍ مزروعة اخذنا نتسلق اكمات جبل فلوبي فصرت

ارى نفسي كأني في جبال سويسره او جبال الالب فصول وغاباتها وكنا نرى من اشجار الراتينج والصنوبر ما يزيد علوه على ٢٥ مترًا ومن اشجار العفص ما ينيف طوله على ١٥ مترًا ومن اشجار الزيتون والجوز ما يزيد جسامة عن جسامة الدلب. والارض تحت هذه الاشجار مغطاة بطبقة خضراء من الحشائش كالزمرد هذا عدا الاشجار الغريبة الجنس التي لا نعلم اسماءها. والطيور التي تتنقل بين الاغصان كثيرة الاصناف كاصناف الشجر وكلها تغرد باصواتها الشجية حتى كأن يد القدرة خلقت هذه النابات لتكون معرضًا او انموذجًا للاشجار والاطيار ولم تكن تحتاج الى فتح المظلة لاننا لم نكن نرى اشعة الشمس الا نادرًا من خلال الاغصان

وبعد ان سرنا ثلاث ساعات ونصف ساعة وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات ودخلنا بين حقول الذرة نزلنا تحت بعض اشجار الراتينج وجلسنا على الطنافس التي كانت معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعية وكنا نرى كثيرًا من المزارعين في هذه الحقول والغريب من امرها انها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل ما تجده من الحشائش النامية بينها

والوصف على هذا النسق لسبع وعشرين مرحلة فمن يعرف بلاد السودان وقفارها المحرقة والصحاري التي تحيط بوادي النيل يظن ان بلاد الحبشة على هذا النسق ولكن يظهر من هذه الرحلة انها من اجمل بلدان الدنيا وان الاحباش ليسوا في درجة التوحش التي يصورها لنا الوهم ولكنهم لا يزالون بعيدين عن حضارة البلدان الراقية

ووصل الى العاصمة اديس ابابا في ٣ يونيو ووصف دخوله اليها فقال

استيقظنا اليوم (٣ يونيو) مبكرين واخذ كل منا يتهيأ ويلبس استعدادًا للدخول الى عاصمة الحبشة وبعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب العربي قاصدين (جولا) وبرفقتنا جم غفير من المستقبلين وبعد قليل اقبل علينا كثير من اعيان الجنود والاحباش والحملين الوافدين من العاصمة وكانوا راكبين على خيول مطهمة وعليها السروج المزركشة ومرتدين باثمن الملابس وهم يطلقون بنادقهم في الهواء ترحيبًا بنا. ولما اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء للحضرة السلطانية وبعد ان تم الدعاء اخذوا يرشون المياه المعطرة علينا ويعطون لكل منا باقة من الزهر ومناديل حريرية ذات روائح عطرية وطفقوا على رأس الحصان الذي كنت راكبًا عليه طوقًا من الزهر ثم استأنفنا السير جميعًا وبعد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من المستقبلين وهكذا اخذت الوفود تكثر الى ان قربنا من (جولا) فلاح لنا على بعد بضع مئات من الامتار المسيو (ابلغ) السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور منليك

وستشاره الخاص ومعهُ ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجالهُ عن الخيل فتوجهنا نحن ايضاً وبعد التحية ابلغنا ان جلالتهُ يهدينا تحياتهِ الخصوصية ثم قال ان الحكومة الحبشية ستستقبل الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود ورجال الحبشة

وبعد ان انتهى ذلك إستأذن المسيو (ايلغ) بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوتهُ ان يقدم و يعرض بالتلفون شكري العظيم لجلالتهِ ثم ذهب ونصبنا نحن الخيام والصواوين وتزاحمت قافلتنا هنا لقضاء هذه الليلة واخذت ترد الوفود افواجاً افواجاً من اديس ابابا وكان بينهم هذه المرة كثير من الارمن والاروام

وفي الساعة الثالثة ونصف صباحاً جاء المسيو ايلغ والمندوبون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع الحرس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجودة في اديس ابابا واخذ المسيو ايلغ يعرفنا بالذين جاءوا معهُ وكان بينهم من الاحباش (رأس ولدي) حاكم مقاطعة الجرد السابق والنائب الامبراطوري الآن (وغراج كزو) و (فيتواري آبردي) قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيلهُ (دجاج آباتا) ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن المنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصري والشيخ ابو زرعة والحاج محمد ابو بكر . وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل واخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم تنقطع مسافة طويلة حتى قدم علينا المسيو مارتن ده كا الملحق الحربي في فرنسا لابساً ملابسهُ الرسمية لاستقبالنا من قبل المسيو لاغرد السفير الفرنسوي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين المسيو ايلغ والمسيو مارتن ده كا وتارة بيني وبين رأس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كزمردة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين اتوا من اديس ابابا لاستقبالنا بالالبسة الرسمية الحربيَّة فعلى رؤوس الناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين تلوا اسدًا) ومنهم من هو واضع على رأسهِ خوذة يتدلى منها على وجههِ وصدرهِ حلقات وسلاسل دقيقة ومنهم من هو معلق في اذنيهِ افراطاً وآخرون لابسون اساور سيفي معاصمهم وكل من هذه الاشياء علامة فارقة وبثابة وسام . واما الجنود فانهم كانوا حفاة الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا برفقتنا فانهم لابسون في ارجلهم حذاء من لباد ثخين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا اديس ابابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملأى وغاصة بالناس وقد خرجوا ليتفرجوا على دخول الوفد السلطاني وليروا (الجنتار التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى المنزل الخاص بنزولنا فترجلنا وصافحت المستقبلين وشكرتهم وطلبت الى كبار المستقبلين ان يعرضوا شكري لجلالة الامبراطور والامبراطورة ثم دخلنا منزلنا وانصرف رجال الحكومة الى منازلهم

ولم يكن النجاشي وتشذر في عاصمته بل كان في مصيفه في محل يسمى آديس علم وهو لنا يبني بعض قصور منذ مدة . وقد اخذت رأي المسيو ايلغ في الذهاب الى المحل المذكور لاداء ما علينا فقال لي انتم الآن في حاجة الى الراحة من التعب الذي نالكم من هذه السفرة البعيدة وان النجاشي سيحضر بعد بضعة ايام الى اديس ابابا بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني

والمنزل الذي نزلنا فيه ملك الحاج احمد افندي الذي مرَّ ذكره آنفاً قد خصصهُ الامبراطور لنزولنا فيهِ بناء على التماس احمد افندي من جلالتهِ وكان المأكل والمشرب وكل ما يلزم لنا يأتي من قصر النجاشي . وكانت المؤن التي ارسلت اليوم عبارة من عجل كبير وثلاثة خراف كبيرة وثلاثة خراف صغيرة (فوزي) ومائة رغيف من الخبز وخمس جرار من المشروب المسمى (تج) وقدرة كبيرة من السمن وقدرة اخرى من البربري (وهو صالصة الفلفل الاحمر المتلي) واشياء اخرى . وقد ارسل محمد ابو بكر على طريق الهدية ثوراً وثلاثة خراف وثلاث قرايز من الشراب

ومنزلنا هذا ذو دورين مع ان جميع منازل آديس ابابا ما فيها الا دور واحد فقط ولمنزلنا بهو كبير على اطرافهِ شرفات واسعة والمنزل امام ساحة واسعة حيث تقام سوق المدينة والبهو الذي كان طولهُ ١٥ متراً وعرضهُ ٨ امتار كان مفروشاً بالطنافس الجميلة وابوابهُ وشبابيكهُ مزينة بالستائر المزركشة التي نراها عند بائعي الآثار القديمة (الانتيكات) في الاستانة . وقد عمل صاحب المنزل الحاج احمد افندي كل ما في وسعهِ وأحضر كل ما يلزم لراحتنا وكان على سرور عظيم من وجود الوفد بمنزلهِ يستقبل الزائرين بوجه باش ويناظر اعمال الخدمة والطهاة ومحضري القهوة والطوارئات (سفر الاكل) وبالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسهِ والناس من حولهِ متهللة على نزولنا في منزلهِ . وقد سافرت كثيراً وجلت في بلاد كثيرة فلم ارَ اكراماً بهذه الدرجة

وبعد ان اسهب المؤلف في ذكر تاريخ الحبشة وافى على امور كثيرة متعلقة بها وصف كيفية مقابلة الامبراطور لهُ فقال

كان اليوم موعد مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما اصبحنا ارتدينا اردیتنا الرسمية الكبرى وقبل ان نذهب ارسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبتهم رجل ارسلهُ المسيو ايلغ . وبعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظرًا ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس وبينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يتنطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر وبعضهم مصطفون في الطريق

ويرى الرائي هنا انواعًا كثيرة من الالبسة الرسمية (التشريفة) ويمشي امام اكابر الاحباش عبيدهم يحملون احسن اسلحتهم من رمح او ترس او حربة ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسد والنمور فتتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هيبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر القريب لاول وهلة انهُ يرى امامهُ اناسًا في شكل اسد او نمر

بينما كنت اسرح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في اول الشارع جندًا يقرب عددهم من الف قادمين علينا وبعد قليل وصلت هذه الاوردطة (طابور) ثم جاء المسيو ايلغ ورأس ولدي وغراج كزو مدير القصر الملوكي واحد ابناء الامبراطور وفيتورازي ردى احد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليرافقونا وكلهم بالاردية الرسمية

وفي الساعة الثالثة ركبنا وسرنا قاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكرية مؤلفة من نايات وزمر وبعض آلات لا اعرفها . وكانت الطرق وسطوح المنازل والشرفات والدكاكين غاصة بالناس الذين كانوا يحيوننا وكان بعض المأمورين بيدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة اخرى والساحتان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثالثة كانت بطارية مدافع واقفة تؤدي التحية باطلاق البارود . وبعد الساحة الثانية وجدنا مرآة كبيرة جدًا وهنا يوجد البهو الملوكي الكبير المسمّى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالسًا على عرش جسيم وهو محاط بحاشيته ورجال بلاطهِ وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو اخذت المدافع تدوي فقام الامبراطور حينئذٍ ثم جلس ولما اقتربنا منهُ انتصب قائمًا للمرة الثانية فقبلت امام جلالتهِ يخطاب وجهز في ما يخص مهمتي التي اتيت من اجلها ثم اعطيتهُ الكتاب السلطاني والنيشان فأخذهما مني بكل تجلة واحترام وفاء بعبارات الشكر للحضرة السلطانية . وبعد ان تمت هذه الرسوم

اشار بيده الى مقعد امام العرش الملكي كان احضر بصفة خصوصية جلست عليه . وبعد ذلك اخذ جلالتهُ يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبنا في الطريق ام لا . وبعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسهِ واحدة واحدة ويظهر مزيد سروره . ثم اخذ يشرح امتنانهُ وشكرهُ لحضرة السنية السلطانية التي تفضلت وافتكرت بجلالتهِ (اي بالامبراطور) . واما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي وبسط من صنع فابريقة هركة السلطانية وقشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة وكلها من احسن ما صنع وابدع ما عمل

كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيهِ ما عدا الثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ماكونيق ورأس جورجيس ورأس تسيا . وقد عرفني بهم المسيو ايلغ الذي كان يؤدي وظيفة الترجمان فتصافحنا وشكرت للرأس ماكونيق ما رايتهُ من الاكرام في منزلهِ بهرد

ودامت هذه المقابلة نصف ساعة تكلمنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضيع مختلفة وكان جلالتهُ مرتدياً بالملابس الرسمية ومتقلداً وساماتهِ المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعاً على العرش بجانب جلالتهِ . وكان على راسهِ كوفية يلبسها دائماً حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقية (متربع) وحولهُ الوسائد يتكيء عليها

تاريخ الحضارة

اهدى الينا صديقنا العالم الفاضل محمد افندي كرد علي منشئ مجلة المقتبس الجزء الاول من هذا الكتاب وقد ترجمهُ عن الفرنسوية وطبعهُ طبعاً متقناً . وياحبذا لو وضع فيهِ اسم المؤلف بالحروف الفرنسوية وتاريخ طبع النسخة التي ترجم عنها لان الثقة بهذه الكتب تختلف باختلاف الزمن الذي وضعت فيهِ او طبعت فيهِ . ويظهر لنا من استضعاف المؤلف دليل الثقة على الجنس انهُ متابع لمذهب وجيه من المذاهب العلمية وهو المذهب الذي اتبعهُ الاستاذ دجواي رئيس قسم الاثنروبولوجيا في خطبة الرئاسة التي القاها في الصيف الماضي

وفي هذا الجزء كلام وجيز على عمران المصريين والاشوريين والبابليين والفينيقيين والاسرائيليين والفرس وقد وقع كل ذلك في ٥٧ صفحة وكلام مسهب على عمران اليونان والرومان وهو باقي الكتاب والكلام على اديان هذه الامم سقيم كان كاتبهُ لم يطلع على مباحث علماء الاديان الانتقادية

باب المسائل

قصدنا بهذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف وعدنا ان نجيب عن مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · وبشرط على المسائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ وافادتهِ وعمل اقامتهِ وعنوانهِ واضحًا (٢) اذا لم يرد المسائل التصريح باسمهِ عند انفراج سؤالهِ فليذكر لنا بعض حروفهِ تخرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم نذكر المسائل بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّر مسألتهُ فان لم نذكرهُ بعد شهر آخر فكون قد اعفيناهُ لسبب كان

(١) اصابة العين وتأثير الوحام

جرجا · اسكندر افندي مشرقي · ارجو جنابكم التكرّم بافادتي عن السؤال الآتي واكرر الرجاء ان لا تهملوني على اعداد المقتطف السابقة لان الاعداد ليست محفوظة عندي والسؤال هو

ذكر في الكتاب المقدس كلمة " عين شريرة " ويفسر البعض هذه الكلمة بان بعض العيون تؤثر في المنظور اليهِ بما يقال لهُ الحسد (الاصابة بالعين) ويؤيد البعض هذه المسألة ايضًا بشواهد كثيرة من الحوادث الواقعية · وقد ورد في الكتاب ايضًا في مسألة يعقوب عند رعايتهِ لغنم خالهِ لابان ان الغنم ولدت حسب الشكل الذي كان يضعهُ امامها عند شرب الماء

ويوافق هذا ايضًا ما تراهُ من توحم النساء وتأثير ما يريهُ من الاشياء في اجسام اجنتهنّ اثناء الحمل — فقالوا كما ان العين تؤثر مما تراهُ لا بد ان تؤثر في ما تراهُ مما يقال لهُ الحسد المعروف باصابة العين · غير اني لم ار برهانًا عمليًّا يؤيد هذه المسألة فارجو الافادة هل هذا الحسد حاصل فعلاً وهل ما تراهُ الحامل يؤثر في جنينها؟

ج · لم يقم حتى الآن دليل عملي على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير ما تراهُ الحامل في جنينها على نحو ما جاء في قصة يعقوب ولابان اي ان العلماء الذين تحدّوا الاصابة بالعين وتأثر الجنين بما تراهُ امهُ لم يروا ما يؤيد هذا ولا ذاك · ومعلوم ان النتيجة السلبيّة لا تنفي امكان حدوث الحوادث المقول انها حدثت ولكنها توقع الشك فيها · واذا تكرر الامتحان وبقيت النتائج سلبيّة قوي هذا الترجيح حتى صار في درجة اليقين ويحسن حينئذٍ البحث عن السبب الذي دعا الى القول الاول · فاذا قال لك قائل انهُ وضع مسامير الحديد في الماء القراح فصار لونهُ ازرق وامتحنت انت ذلك فوضعت مسامير الحديد في الماء القراح فلم يزرق بل صار ضاربًا الى الحمرة ارتبت في صحة قول هذا القائل وبشدة

ارتيابك اذا كررت الامتحان فلم يزرق الماء حتى تكاد تقطع بعدم صحته . ثم اذا علمت خواص المواد الكيماوية وعرف منها انهُ اذا وضع الحديد في الماء تكوَّن منهُ اكسيد الحديد وهو محمر اللون لا ازرقهُ وعلم ايضاً ان بصر بعض الناس يكون مختلاً فيرون الاحمر ازرق استنتجت ان مخبرك رأى اللون الاحمر ازرق فاخبر بما رأى ولم يقصد الخداع . ومن المحقق ان بعض الناس يرون ما لا يراهُ غيرهم لاسباب لا محل لبسطها الآن فيخبرون بما رأوا

اتفق لنا في صبانا ان رأينا طفلاً مرض وقال ذووهُ انهُ اصيب بالعين فاذابت امهُ رصاصة على النار وصبتها في اناء ماء فوق رأسهِ فجمدت في شكل كثير المرتفعات والتخفضات والتجاريب فنظر النساء الحاضرات اليها وقالت واحدة منهنَّ اني ارى فيها صورة الرجل الذي اتى الى هنا امس مسلحاً بفردين في منطقتهِ ويطقان على جنبهِ وها هو . ورأى بقية النساء ذلك ووافقن على قولها واتفقن على انهُ هو الذي اصاب الولد بعينهِ . ونظر كاتب هذه السطور الى الرصاصة وكان عمرهُ لا يزيد على ست سنوات فلم يرَ فيها شيئاً من ذلك وبقي هذا الامر سبباً في ذهنهِ دليلاً على تأثير الاعتقاد في النفوس ثم رأى كثيراً من امثالهِ حتى بين اكابر العلماء والفضلاء والخلاصة انهُ لم يقم دليل علمي حتى الآن على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير الوحام بالجنين على نحو ما ذكر في قصة لابان ويعقوب

(٢) الطيران ومجاذبة الارض

فيدمين بالفيوم . م . ح سمعت بامر المراكب الهوائية فخطر ببالي ما يأتي . اذا كانت الارض دائرة على محورها حقيقةً ودورتها عكس دورة الشمس فلماذا لا يستطيع راكب بالون مثلاً ان يقطع كل اقطار المسكونة بغير ان يتحرك اي وهو متربص في محلهِ والارض تحتهُ تدور فينزل في المكان الذي يريد السفر اليهِ بغير ان يتحرك

ج . سبب ذلك بسيط جداً وهو ان الارض جاذبة لكل ما عليها فنحن دائرون معها في دورانها من الشرق الى الغرب سواء وقفنا عليها او صعدنا في الهواء ولا نخلص من جذبها الاَّ اذا بعدنا عنها مئات الوف من الاميال فان القمر وبعدهُ عنها نحو ٢٣٩ الف ميل خاضع لجذبها ولذلك فاذا صعدنا في الهواء صعوداً عمودياً ثم نزلنا وصلنا الى المكان الذي صعدنا منهُ تماماً لاننا ونحن في الجو نكون دائرين مع الارض في دورانها على محورها

(٣) عمل المرايا

بيروت . ادوار افندي طوقاتلي . ارجو افادة عن تركيب المزيج الذي يستعمل الآن عند ارباب الفن لتحويل الزجاج الى مرايا

ج كانت المرايا تصنع ببسط ملغم من الزيبق والقصدير على لوح الزجاج وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بترسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسَّب اولاً بواسطة الزيوت الروحيَّة ثم صارت ترسَّب بواسطة الحامض الطرطريك ومن الطرق المستعملة لذلك الآن ان يذاب ١٢ قمحة من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلى المذوب ويضاف اليهِ وهو يغلي ١٦ قمحة من نيترات الفضة مذابة في اوقية من الماء النقي ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماء حتى يصير ١٢ اوقية ويمنع مذوب آخر باذابة اوقية من نيترات الفضة في عشر اواقي من الماء ويضاف اليهِ من ماء الامونيا حتى يذوب اكثر الراسب الاسمر ثم يضاف الى ذلك اوقية من الالكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية وحينما يراد عمل المرايا تؤخذ مقادير متساوية من المذوب الاول والثاني ويمزجان معاً جيداً ويبسط لوح الزجاج على مائدة افقيَّة وينظف جيداً بالصودا ويغسل بالماء النقي ويصب المزيج عليهِ وهو لا يزال رطباً فترسب الفضة منهُ على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان الهواء حاراً او كان تحت اللوح رمل حار . ويغسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليهِ فرنيش يقي غشاء الفضة من الاحتكاك

ولا بدَّ من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدَّم ويحسن بكم ان تراجعوا ما كتبناهُ عن تجاربنا في عمل المرايا . هذا اذا اردتم معرفة صناعة التفضيض معرفة نظرية اما اذا اردتم معرفتها معرفة عمليَّة ومجاراة عمال المرايا في اعمالهم فلا بدَّ من مزاولة هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا

(٤) العلوم والمهنة

سان باولو بالبرازيل . الخواجه خ . س رجل في السادسة والعشرين يشاطي الاعمال التجارية ويميل الى تعلُّم علم يكتسب بهِ معيشتهُ فهل تشيرون عليهِ بذلك وما هو العلم الذي تشيرون عليهِ بهِ واي العلوم اصلح وما هي نفقات اكتسابها

ج انا نشير عليهِ بالبقاء في اعمالهِ التجارية ودرس بعض العلوم المتعلقة بها مباشرة كالحساب والجغرافيا وهذه العلوم يسهل تعلمها في مدرسة ليليَّة . اما العلوم التي تستخدم للعاش كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق فتقتضي دروساً تمهيدية لا يظهر من سؤالكم ان من تشيرون اليهِ درسها و يصعب درسها على من بلغ السادسة والعشرين . ونفقات تعلمها وتعلُّم فن من الفنون المتقدمة كثيرة جداً ولاسيما في اميركا حيث انتم مقيمون ولا نظن انها تقل عن مئتي جنيه في السنة مدة ست سنوات او سبع

(٥) زرع الخيش

الفيوم - جرجس افندي موسى - لقد ذاع ان الحكومة عازمة على اعادة زراعة النبغ الى القطر المصري فنرجو ان تكتبوا لنا مقالة ضافية في هذه الزراعة

ج لقد اجبنا سؤالكم وسؤال غيركم في باب الزراعة في هذا الجزء

(٦) كتابة قديمة

المتن بلبنان - فاضل افندي عرنوق - نزلت صاعقة في احد الاماكن فكشفت عن قبر قديم وُجد فيهِ خاتم من نحاس عليهِ رسوم ارسلنا صورتها اليكم وترجو ان تخبرونا عن اللغة التي كتبت بها تلك الرسوم

ج لا نرى انها تنطبق على لغة من اللغات التي نعرف حروفها او هي تشبه حرف اللام الفينيقية واليونانية القديمة مكررًا او حرف الجيم او الفاء بالفينيقية مكررًا ونرجح انها نقوش رمزية لا غير ونستغرب بقاء هذه النقوش على النحاس في قبر بلبنان حيث يكثر وقوع المطر ولا تخلو الارض من مواد يأكل بها النحاس وتزول النقوش عنهُ كما ترون في النقود النحاسية القديمة . ومما يزيد الغرابة ان النقوش بارزة وقلما تكون كذلك على الخواتم ونخاف ان يكون هذا الخاتم خنشاريًا لكننا لا نقطع بشيء من ذلك لانهُ يحتمل ان يكون صحيحًا وتكون الرسوم التي عليهِ كتابة صحيحة بلغة لا نعلمها

(٧) صبغ الرخام

انيس افندي قربان - بينما كنت انتطف ثمار المعارف من جنات مقتطفكم عثرت على نبذة في الجزء الثاني من المجلد التاسع عنوانها تنظيف تمثال ليبك خلاصتها ان رجلاً صنع مزيجًا من ملوب ذيرات الفضة وبرمنغنات البوتاسيوم ورش بهِ التمثال المذكور فاكتسى سطحهُ بالنقط السوداء . وقد صنعت مزيجًا من ملوب المادتين المشار اليهما وكتبت بهِ على صفيحة من نوع التمثال ثم غسلتها بالماء فزالت المغنسيا وبقيت الفضة مرسومة بلون رصاصي لا اسود فكيف ذلك

ج ان الذي بقي هو المطلوب والنبذة التي تشيرون اليها مترجمة عن الانكليزية وفي الانكليزية كلمة dark بمعنى مظلم فترجمها غالبًا بكلمة اسود توسعًا . وقد صنعنا نحن هذا المزيج الآن ووضعنا منهُ نقطة على قطعة من الرخام فلما جفَّت بقيت منها بقعة رمادية داكنة ترى عن بُعد سوداء

(٨) الكتابة على الرخام

ومنهُ - دل من طريقة للكتابة على الرخام بمادة يصبغ بها صبغًا اسود محل الكتابة

ج اذا اردت الرخام جيدًا حتى تتسع مسامهُ وكتب عليهِ بمذوب ذيرات الفضة (حجر جهنم) ظهرت الكتابة عليهِ بعد حين سوداء رمادية او بنفسجية ولا سبيل غير هذا الى الكتابة السوداء الثابتة ولذلك يكتب

على القبير بالرصاص ينزّل في حفر الحروف تنزيلاً

(٩) ارخميدس والتاج

مصر . احد المشتركين اجبتم في شهر دسمبر عن سؤال يتعلّق بارخميدس ان مبرو كلفهُ بفحص تاج لمعرفة ما اذا كان مصوغاً من الذهب الخالص او مغشوشاً بالفضة وان ارخميدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس في المغطس رأى الماء قد خرج منهُ فارشدهُ ذلك الى حل المسألة . والمشهور ان هذه الحادثة هدت ارخميدس الى معرفة قانونهِ المشهور الذي مؤداهُ ان كل جسم غمر في الماء يفقد من وزنهِ مقدار وزن الماء الذي ازاحهُ فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخميدس الى حل مسألة التاج

ج لا بدَّ من ان الصائغ جعل وزن التاج كوزن الذهب الذي اعطاهُ اياهُ الملك وقد كان ارخميدس يعلم كما يعلم كل احد ان الذهب اثقل من الفضة اي ان العقدة المكعبة من الذهب اثقل من العقدة المكعبة من الفضة واثقل ايضاً من العقدة المكعبة من مزيج من الذهب والفضة . ولو كان التاج جسماً منتظماً تسهل مساحةُ المكعبة لامكن الاستدلال من ثقلهِ ومساحتهِ على ما فيهِ من الذهب والفضة ولكنهُ غير منتظم فلا تمام مساحتهُ بالتحقيق فلما غطس ارخميدس في المغطس وارتفع الماء منهُ انتبه الى ان الماء الذي خرج من المغطس يعادل حجم الجسم الذي غطس فيهِ فسهلت عليهِ معرفة حجم التاج فصارت المسألة هكذا ان وزن التاج الف غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع الماء في الاناء ٥٢ سنتمتراً مكعباً اذا غُطس فيهِ ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء ٧٧ سنتمتراً مكعباً ولكنهُ رفعهُ مقداراً متوسطاً ولنفرض انهُ ٦٥ سنتمتراً فليس هو ذهب خالص ولا فضة خالصة بل مزيج منهما وبالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي وزن من الفضة اذا مزجا يكون ثقلهما الف غرام وحجمهما ٦٥ سنتمتراً مكعباً

(١٠) ماء الشع والاساسات

ومنهُ . هل ماء الشع مضر باساسات البيوت في القطر المصري

ج ما دامت الاساسات مغمورة بالتراب وغير مكشوفة للهواء فلا ضرر من ماء الشع ولكن ما يكون مكشوفاً منها ومن البناء الذي فوقها يتأكل اذا كان في الارض املاح يذيبها الماء . ويتقى الضرر بفصل الارض من الاملاح او بالفصل بينها وبين البناء بمادة تمنع وصول الاملاح الذائبة الى البناء

(١١) ابطال الدخين

ومنهُ . اذا أُبطل شرب الدخان والاشربة الروحية فماذا يعمل تجار هذين الصنفين وهم ثلث التجار كلهم على ما اظن . أوَ ليس اباحة بيع الدخان والاشربة الروحية

افضل من ترك هؤلاء التجار بلا باب للتعيش

ج كلاً وابواب التعيش كثيرة ولا يعدم المجتهد سبيلاً للعيشة . ومنع بيع التبغ والاشربة الروحية ليس في الامكان ولكن الذي في الامكان هو تقليل ربح بائعيها حتى يقل اهتمامهم ببيعها وطريقة ذلك ان تبيح الحكومة لكل احد ان يبيع التبغ والاشربة الروحية على شرط ان يمسك لذلك حساباً مدققاً ويعطيها اكثر ما يربحهُ ولا يبقي لنفسهِ الا عشرة في المئة بالنسبة الى رأس مالهِ فاذا رأى بائعو التبغ والخمر ان ربحهم قليل جداً لم يعودوا يهتمون بترغيب الناس فيهما

(١٢) تعليم الفقراء

ومنهُ . ان تعليم اولاد الفقراء من صنّاع ومزارعين يجعلهم يتركون حرف آبائهم واجدادهم وذلك غير حسن ولكن هل يستحسن منع التعليم عنهم مع اننا نرى كثيرين من هؤلاء الابناء ينبغون في العلوم والمعارف ويدركون اعلى المناصب اذا احسنت تربيتهم واعتني بتعليمهم . ويقول البعض بتعليم اولاد القرى بعض العلوم الزراعية والصناعية فقط حتى يشتغلوا في المستقبل بحرفة والديهم فهل يصح التمييز بين ابناء الوطن الواحد بان يعلّم بعضهم على كيفية بسيطة ويعلّم البعض الآخر على طريقة راقية

ج . ان مسألة تعليم اولاد الامة من المشاكل التي يصعب حلها فاذا كانت الامة قادرة على اشراك كل ابنائها في التعليم العالي على السواء وجب عليها ان تفعل ذلك كما يجب على المرء ان يساوي بين اولاده في الميراث ولكن الامة لا تقدر على ذلك فيترتب عليها والحالة هذه ان تعلّم ابناءها حسب استعدادهم وقابليتهم حتى لا تنفق على البليد نفقات تذهب سدًى ولا تقصّر في الانفاق على النجيب وهي لو انفقت عليهِ لافادت بلادها بهِ ولذلك يكون من الحكمة ان تنفق اولاً على التعليم الابتدائي الصرف الذي لا بدَّ منهُ اي تعليم القراءة والكتابة والقليل من الحساب وتشرك فيهِ ابناءها كلهم اذا استطاعت وما يبقى لديها من مال التعليم تنفقهُ على الذين تتوسّم فيهم النجابة اكثر من غيرهم وتعلمهم علوماً عالية فاعلى حسب طاقتها وحاجة بلادها . ومما يرجح البال ان المجتهدين يتعلمون ويفلحون سواء ساعدتهم الحكومة او لم تساعدهم وغير المجتهدين لا يتعلمون او لا يستفيدون من التعلّم ولو انفقت على تعليمهم مال قارون . ولقد رأينا اناساً لم يدخلوا مدرسة عالية وهم من ابرع الناس واناساً غيرهم اتوا دروسهم في اعلى المدارس العالية وهم لا يعرفون ان يحلوا مسألة بالحساب البسيط . ومدرسة العلم الحقيقي هي مدرسة العمل . وعلى الحكومة ان تبذل جهدها اكي لا تنفق اموال الامة عبثاً

الاخبار العلمية

فائدة تلغراف مركوني

اتفق في السادس والعشرين من يناير الماضي ان صدمت الباخرة فلوريدا الايطالية الباخرة ربيلك من شركة النجم الابيض وكادت تشطرها شطرين وكان في الربيلك آلة تلغراف مركوني في غرفة فيها وقد خربت تلك الغرفة من الصدمة لكن الآلة بقيت سليمة وعليها رجل اسمهُ بنس وكان حينئذٍ يرسل رسالة برقية الى مدينة نيويورك فقطع الرسالة بغتةً وارسل بدلاً منها الحروف الثلاثة C. Q. D. ومعناها الوقوع في الخطر وطلب النجدة. وانتشرت امواج الاثير في الفضاء حول السفينة فشعرت آلات مركوني بها في كثير من السفن التجارية ومراكز التلغراف الاثيري. ثم ارسل رسالة مفصلة قال فيها ان الربيلك صُدمت واشرفت على الغرق. فبادرت السفن اليها من كل صوب ووصلتها السفينة بلطيق قبل غيرها واحتملت وسقها وركابها وركاب السفينة فلوريدا وعددهم ٤٠٠ ونجتهم من الغرق والفضل في ذلك لمركوني بل لرجال العلم الذين اكتشفوا نواميس الكهربائية واستخدموها في ما ينفع الناس. اما السفينة ربيلك فغرقت بعد خروج الركاب منها ولم يقتل بهذا الاصطدام الا رجلان من ركابها واربعة من الذين كانوا في السفينة فلوريدا

زلزلة مسينا

وصفنا هذه الزلزلة وصفاً مسهباً في اول هذا الجزء وانقضى شهر يناير ولا تزال المزات تنتاب تلك البلاد ولكنها خفيفة. ولا يزال النقب جارياً في مسينا ورجيو عن المدفونين تحت الردم وقد وجد البعض منهم احياء ونشرت الصحف اخباراً كثيرة عمَّا قاساهُ الذين نجوا من المشاق قبلما فازوا بالنجاة وتبرع اهل البر والاحسان بالاموال طائلة لمساعدة الاحياء واشتركت الحكومات كلها في ذلك حتى الحكومة الصينية

اكبر فوز للتلغراف

من حين استعمل التلغراف الكهربائي الى الآن لم يبلغ الفوز الذي بلغهُ في اواخر الشهر الماضي فقد أُرسلت به الرسالة البرقية

الاولى بين منشستر وكلكتا رأساً والمسافة بينهما ٧١٠٠ ميل وكان فيها ٣٠٠ كلمة فارسلت في سبع دقائق ونصف دقيقة ثم ارسلت رسالة برقية بين رنجون في اقاصي الهند ومنشستر والمسافة بينهما ٧٢٠٠ ميل وقد افتتحها مرسلها بقوله "سلام على الغربيين من الشرقيين"

بناء مسينا

لما نظر مجلس النواب الايطالي في امر مسينا اقرّ على ان تنفق الحكومة عليها وعلى رجيو ثلاثين مليوناً من الفرنكات وقال رئيس النظار انهُ "لابدّ" من بناء المدينتين ثانية". والظاهر انهُ اذا كان البناء من الحديد والخرسانة قاوم فعل الزلازل اشد المقاومة وسيكون للحديد المقام الاول في مباني المستقبل

الحمى الملارية في بلاد اليونان

تألفت لجنة في بلاد اليونان لمقاومة الحمى الملارية باتلاف البعوض ومنع توليده في المستنقعات. وقد كان المصابون بالملاريا في سهل مراثون سنة ١٩٠٦ تسعين في المئة من المرضى فبلغوا سنة ١٩٠٧ سبعة واربعين في المئة وسنة ١٩٠٨ اثنين في المئة لا غير. وهذا من اقطع الادلة على ان الحمى الملارية مسببة عن لسع البعوض الذي يحمل جراثيمها ويلقح بها الاصحاء

اولاد النوابغ

ظهر بالاستقراء ان اولاد كبار العقول يكونون من كبار العقول ايضاً ولو كانت هذه القاعدة غير مطردة. وقد بحث المسيو الفونس ده كندول منذ سنة ١٩٧٣ عن اصل الذين ينتخبون اعضاء في الجمعيات العلمية فوجد ان اكثرهم من اولاد القسوس. ويبيّن العالم فرنسيس غلتون ان اكثر النوابغ هم من اولاد النوابغ واكثر المشهورين بالعقل والدراية هم اولاد المشهورين بالعقل والدراية ولذلك فالصفات العقلية تنتقل بالوراثة كالصفات البدنية

وفيات الاطفال وزيادة السكان

ان متوسط وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة في الممالك الاوربية يبلغ اكثره في روسيا والله في انكلترا وهو فيهما وفي سائر الممالك كما ترى في هذا الجدول

في روسيا	٢٦٨ في الالف
" النمسا	٢٢٣ " "
" رومانيا	٢١٨ " "
" المجر	٢١٥ " "
" المانيا	١٩٩ " "
" اسبانيا	١٧٨ " "
" فرنسا	١٤٩ " "
" انكلترا	١٤٧ " "

ولكن زيادة السكان السنوية ليست تابعة لقلة وفيات الاطفال بل لكثرة المواليد فانها كانت في العشر السنوات من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٥ كما في هذا الجدول

في روسيا	١٥٫١	في الالف
« المانيا	١٤٫٦	« «
« رومانيا	١٣٫٣	« «
« انكلترا	١١٫٩	« «
« النمسا	١١٫٥	« «
« المجر	١١٫٢	« «
« اسبانيا	٧٫٣	« «
« فرنسا	٥٫١	« «

هذا متوسط زيادة السكان السنوية قبل سنة ١٩٠٥ ولو قلت وفيات الاطفال لزاد عدد السكان ايضاً

كنوز الصين العلمية

وجد الدكتور ستين رئيس الوفد الذي اوفدته حكومة الهند الى اواسط اسيا كهفاً كبيراً على حدود الصين فيه اكثر من اربعة آلاف كتاب من كتب الصينيين تاريخ كتابتها من القرن الاول للميلاد الى القرن العاشر وهي بسبع لغات مختلفة والظاهر ان اصحابها اخفوا عليها من غارات الامم المتوحشة التي كانت تغير على بلادهم فاخفوها في ذلك الكهف وسدوا بابهُ سداً محكماً حتى لا يدري بها احد وقد وجدت فيه سليمةً

عيد وطء مخترع آلة البخار

احتفل اهالي غلاسكو بعيد ميلاد جيمس وط مخترع الآلة البخارية وبينهم في الاحتفال جامعهم تلغراف من طوكيو عاصمة اليابان من امير البحر كروبي يقول فيه « ان مستعملي الآلات البخارية في بلاد اليابان رغبوا اليَّ في ان اقدم تهنئاتنا القلبية الى اخواننا في الصناعة في غلاسكو . نعم ان رداء وط تناولهُ الجميع بغير استثناء لكننا نقدم احترامنا الاول للذين تناولوهُ اولاً ونفعوا به »

كلام الموتى

ادعى الرئيس جون جرام في مجلة هيبرت العلميَّة الفلسفيَّة ان نفس ميرس (وكان من الباحثين في العلوم النفسية) تكلمت بعد موته وقالت انها احيا الآن مما كانت قبل الموت ولا تود الرجوع الى هذه الارض ولكنها لا تزال تتذكر علاقاتها بها ولا تزال ايضاً بعيدة عن العزة الالهية وانهُ يمرُّ على النفس نحو مئة سنوات بعد خروجها من الجسد وهي في حالة الخمول فاقدة كل وجدان ثم تبتعد عن الارض ومشاغلها ولا يعود لها علاقة بها ولعل نفس ميرس بقيت قرب الارض عمداً لكي تمان ذلك للناس

تقول انهُ ان كانت النفوس تبقى نحو

ست سنوات على مقربة من الناس ففي الارض الآن نحو اربع مئة مليون نفس تجول فيها ولم يتقدم على التكلم الا نفس واحدة منها . ان تصديق ذلك اعجب من تصديق اي امر آخر سواهُ

ضرر الشركات المالية

لا شبهة في ان اكثر الاهال الكبيرة ان لم نقل كلها عملتها الشركات المالية ولا جدال في فائدة الشركات ولكن لا شبهة ايضاً في ان كثيراً من الشركات لا ينفع بل يضر بتبذير اموال المشتركين فيهِ فقد حققت ادارة تسجيل الشركات في بلاد الانكليز انها سجلت ١٠١٠١٥ شركة في اربع واربعين سنة بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٩٠٦ رأس مالها كلها ٦٧٨١ مليون جنيه ولم يبقَ الى الآن من هذه الشركات سوى ٤٠٩٩٥ شركة رأس مالها كلها ٢٠٠٣ ملايين جنيه في هذه السنوات الاربع والاربعين افلسَ اكثر من ستين الف شركة رأس مالها ٤٧٧٨ مليون جنيه وجانب كبير من هذه الاموال ضاع جزافاً وخسرهُ المشتركون

ساعة وفونوغراف

صنع رجل من جنيفا ساعة صغيرة فيها فونوغراف يعلن عدد الساعات بكلام يسمع على بعد عشرين قدماً

ضعف العقل وكثرة النسل

قال السركيفرد البوت انهُ رأى بالاختبار ان ضعاف العقول يكونون كثيري النسل وقد قال بذلك غيرهُ من الباحثين في هذا الموضوع واثبتوهُ بالاستقراء الطويل فقد وجد ان متوسط عدد الاولاد في مئة وخمسين عائلة من ضعاف العقول ٧ وثلاثة اعشار ومتوسط عدد الاولاد في عيال سليم العقل في ذلك المكان عينهِ اربعة فقط . ويموت كثيرون من اولاد ضعاف العقول ولكن الذين يعيشون منهم اكثر كثيراً من الذين يعيشون من اولاد كبار العقول . ثم ان اولاد المتوهين وضعاف العقول يكونون اميل من غيرهم الى الجنون وارتكاب الجرائم هذا في البلاد الانكليزية ولا نعلم هل ذلك مضطرد في كل البلدان او هو خاص بتلك البلاد

ثوران بركان

ثار بركان كاغوى في جزيرة من جزائر فيليبين بتتةً في التاسع عشر من شهر يناير وجرت المواد المصهورة على جوانبهِ كالانهر فاضرّت بالبلاد المجاورة

بنوك التوفير

تقدّر المبالغ المجموعة في بنوك التوفير الانكليزيَّة باربع مئة مليون جنيه وفي بنوك التوفير الالمانية بستمائة مليون جنيه

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

١٠٥ زلزلة مسينا (مصوّرة)
١٠٩ ثمار الدستور
١١٣ مقدمة الطبعة الثانية · للدكتور شميل
١١٩ الاجتماع · للدكتور امين ابو خاطر
١٢٨ شعر الشريف الرضي · لخليل افندي يعقوب الخوري
١٣٤ السرطان
١٣٨ افتتاح الجامعة المصرية
١٤٦ مستقبل البلاد العثمانية · لعزتلو سعيد بك شقير
١٥٦ معجم الحيوان (مصوّرة) · للدكتور امين المعلوف
١٦٢ الامانة سر النجاح
١٦٥ دولة آل عثمان

---

١٧٠ باب المراسلة والمناظرة * مقدمة الطبعة الثانية من شرح يختر على دارون · اشكال وايضاح · غرائب الاحلام
١٧٦ باب الزراعة * زراعة التبغ (الدخان) · تقليم الاشجار · غرس الاشجار · موسم القطن · اصل القطن المصري · الزراعة المصرية منذ مئة عام · تجر الصادرات الزراعية
١٨٧ باب تدبير المنزل * طحن القمح · العلم في الطعام وضرره · السكر ومضاره
١٩٠ باب التقريظ والانتقاد * كتاب مشهد العيان · كتاب ثمار القلوب · رحلة المحسة · تاريخ الحضارة
١٩٨ باب المسائل * اصابة العين وتأثير الوحام · الطيران · وجاذبية الارض · عمل المرايا المحرقة والمعينة · ماء النشع والاساسات · لزوايط الدخون · تعليم القراءة · صبغ الوحام · الكتابة على الوحام · ارخيدس واسحاق
٢٠٤ باب الاخبار العلمية * وفيه ٥٠ نبذة